

بِإِذْنِ  
مَدِينَةِ الدُّعَاةِ  
فُضُولُ هَادِفِيهِ فِي فِقْهِ الدُّعْوَةِ وَالدَّاعِيَةِ

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

لِلنَّاشِرِ

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

لصاحبها

عبدelfادرمحمود الكاز

الطبعة الثانية

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

القاهرة - جمهورية مصر العربية

الإدارة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران  
عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشرييني - مدينة نصر

هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+) فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)

المكبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢+)

المكبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع  
مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢+)

بريدياً : ص.ب ١٦١ الغورية الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة  
ش.م.م

تأسست العام ١٩٧٣م وحصلت  
على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة  
أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ،  
٢٠٠١م هي عضو الجائزة تنويها لعقد  
ثالث مضي في صناعة النشر

# بِلَاةٌ مُدْرَسَةُ الدُّعَاةِ

فِصُولٌ هَادِفَةٌ فِي فِقْرِ الدَّعْوَةِ وَالدَّاعِيَةِ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ عَلَوَانِي

أَسْتَاذُ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
بِجَامِعَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِمَكَّةَ

المجلد الأول

10 - 1

ويشتمل على :

- 1 - هذه الدعوة .. ما طبيعتها ؟ 2 - الدعوة الإسلامية . والانقاذ العالمي 3 - وجوب تبليغ الدعوة .
- 4 - فضل الدعوة والداعية . 5 - صفات الداعية النفسية . 6 - روحانية الداعية . 7 - أخلاقية الداعية .
- 8 - ثقافة الداعية . 9 - كيف يدعو الداعية ؟ 10 - مواقف الداعية التعبيرية .

دارُ السِّلاَمِ

للطباعة والنشر والترجمة والترجمة





## ترجمة المؤلف رحمه الله ( \* )

### ولادته ونشأته :

ولد - رحمه الله - في حي قاضي عسكر بمدينة حلب ، سنة 1928 في أسرة متدينة معروفة بالتقى والصلاح .. تربى في ظل والده الصالح الشيخ : سعيد علوان - رحمه الله - وكان الناس في حلب يقصدون الشيخ سعيدًا طلبًا للتداوي ، فقد كان طبيبًا وصيدليًا يداوي الناس بالأعشاب والمراهم ، وكان لسانه لا يهدأ عن ذكر الله وقراءة القرآن ، وكان يدعو ربه أن يجعل من أبنائه العالم الحكيم والطبيب المسلم ، وقد استجاب الله لدعائه .

عندما انتهى فقيدنا من المرحلة الابتدائية وجهه والده عام 1943 إلى دراسة العلم الشرعي في الثانوية الشرعية ، وكانت في ذلك الوقت بالחסروية - نسبة إلى بانيها ( خسرو باشا ) - وكان يقوم بالتدريس في تلك المدرسة علماء قلّ نظيرهم في ذلك الزمن وفي هذا العصر أيضًا ، علماء وهبوا حياتهم للعلم وأخلصوا في عملهم ، وكان أساتذة المدرسة يعاملون طلابهم كأبناء لهم وكأخوة لهم ، وقد تأثر فقيدنا بالشيخ راغب الطباخ مؤرخ حلب ومحدثها ، صاحب كتاب « إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » وتأثر - أيضًا - بالدكتور الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله .

عرف فقيدنا بين زملائه في المدرسة بالجرأة في الحق والشجاعة في مواجهة الأحداث .. وبدت الشخصية القيادية في تصرفاته ، وعرف في المدرسة بالخطابة والقلم المعبر عن أحاسيس المسلمين ، وكان بيته في قاضي عسكر متدي ومجمعًا لأصدقائه ولأساتذته .

### دراسته :

● نال شهادة الثانوية الشرعية في سنة 1949 وبتوجيه من والده سافر إلى مصر لاستكمال تحصيله في علوم الشريعة الإسلامية .

● شارك في الأزهر ونال شهادة كلية أصول الدين سنة 1952 ، ثم نال شهادة

• هذه سطور موجزة في التعريف بالمؤلف - رحمه الله تعالى - مما تتناسب مع حجم هذه الرسالة ، وسيقوم بعض إخوانه وتلامذته باستيفاء ترجمته بعون الله تعالى .

كان متواضعًا في علمه ، ومتواضعًا للناس ، حسن المعاملة مع الناس يحب الخير والنصح للمسلمين .

### كتبه وآثاره العلمية :

- 1- تربية الأولاد في الإسلام - في مجلدين .
- 2- قصة الهداية - في مجلدين .
- 3- التكافل الاجتماعي في الإسلام .
- 4- أفعال الإنسان بين الجبر والاختيار .
- 5- الشباب المسلم في مواجهة التحديات .
- 6- الإسلام والقضية الفلسطينية .
- 7- صلاح الدين الأيوبي ، بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين .

### سلسلة مدرسة الدعوة :

- 8- هذه الدعوة .. ما طبيعتها .
- 9- الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمي .
- 10- وجوب تبليغ الدعوة .
- 11- فضل الدعوة والداعية .
- 12- صفات الداعية النفسية .
- 13- روحانية الداعية .
- 14- ثقافة الداعية .
- 15- كيف يدعو الداعية ؟
- 16- مواقف الداعية التعبيرية .
- 17- عقبات في طريق الدعوة .
- 18- بين العمل الفردي والعمل الجماعي .

### سلسلة بحوث إسلامية هامة :

- 19- إلى كل أب غيور يؤمن بالله .

- 20 - فضائل رمضان وأحكامه .
- 21 - حكم الإسلام في التأمين .
- 22 - تعدد الزوجات والحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ .
- 23 - أحكام الزكاة على المذاهب الأربعة .
- 24 - حكم الإسلام في وسائل الإعلام .
- 25 - شبهات وردود حول العقيدة وأصل الإنسان .
- 26 - عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام .
- 27 - آداب الخطبة والزواج وحقوق الزوجين في الإسلام .
- 28 - مسؤولية التربية الجنسية .
- 29 - إلى ورثة الأنبياء .
- 30 - تكوين الشخصية الإنسانية في نظر الإسلام .
- 31 - معالم الحضارة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية .
- 32 - نظام الرق في الإسلام .
- 33 - الإسلام شريعة الزمان والمكان .
- 34 - حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية .
- 35 - القومية في ميزان الإسلام .
- 36 - دور الشباب في حمل لواء الإسلام .
- 37 - الإسلام والجنس .
- 38 - الإسلام والحب .
- 39 - حين يجد المؤمن حلاوة الإيمان .
- 40 - ماذا عن الصحوة الإسلامية في العصر الحديث .
- 41 - التعريف بالشريعة الإسلامية .
- 42 - حتى يعلم الشباب .
- 43 - الأخوة الإسلامية .

**مرضه ووفاته :**

منذ ثلاث سنوات أصيب بمرض في الكبد إثر عودته من باكستان ، وقد احتار الأطباء في طبيعة هذا المرض .

ذبل عود الشيخ ، وتضاءل جسمه وتناولته الأوجاع في كل مكان ، وكان دائم التردد على العيادات الطبية طالباً المشورة والعلاج ، ولكن نفسه لم تهن ولم تضعف ، بل بقي عالي الهمة متوثب العزيمة محافظاً على مهماته الدعوية ، يقوم بمسؤولياته الاجتماعية ، لا يعتذر عن قبول أية حفلة يدعى إليها ، وحين يطلب منه التحدث كان يتكلم وينفعل وينسى حالته المرضية التي لا تسمح له بإرهاق نفسه .

المدة التي قضاها راقداً في المستشفى خلال هذه السنة تعتبر فترة طويلة ، فقد كان يخلع ثوب المستشفى ويلبس ثيابه ويذهب إلى الجامعة لإلقاء المحاضرات ، ثم يعود مرة أخرى إلى المستشفى ليتلقى العلاج من الأطباء ويجوار سريريه في المستشفى ترتفع مجموعات من الكتب فهو يجد السعادة في القراءة .

كان يضع ( الوسادة ) أمامه ويكتب فصولاً من كتاب قد بدأه . كل الأطباء وكل الأصدقاء كانوا ينصحون الشيخ بالابتعاد عن القراءة والكتابة ، لكن النفس الشامخة تأتي أن تلقي القلم من يدها مهما اشتد الألم .

\* \* \*

**وفاته :**

كانت الوفاة في الساعة التاسعة والنصف صباح يوم السبت الخامس من شهر محرم عام 1408 هـ الموافق 1987/8/29 م في جدة بمستشفى جامعة الملك عبد العزيز ، وقد شُيع جثمانه يوم الأحد في السادس من محرم الموافق الثلاثين من آب ، ونقل من جدة إلى مكة ودفن فيها حيث صلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر ، وقد شُيع الفقيد عددٌ كبير من العلماء والدعاة والإخوة والشباب والطلاب ، وقد ألقى أحبة الفقيد الكلمات المعبرة عن حبههم ومصابهم في فقيدهم العالم الذي أخلص في دعوته وقدم للمكتبة الإسلامية الإنتاج الوفير .

وبفقدته ودّع المسلمون في بلاد الشام ، بل في العالم الإسلامي رجلاً من أفذاذ



الرجال ، وعالمًا من كبار العلماء ، وداعية مجاهدًا بذل حياته للدعوة إلى الإسلام بحاله ومقاله وقلمه ولسانه .

وكان مما رثى به الشيخ علوان رحمه الله ما قاله فيه د . محمد وليد :

أبا سعد رحلت وكنت فينا	مثالا للدعاة ... المخلصينا
بكى لفراقك الأحباب طرًا	وحياك الهداة المؤمنونا
تَفَطَّرَ قلبُهم حزنًا دفينًا	وفاضت عينهم دمعا سخينا
عليك سلام ربك في البرايا	وأشواق الملائك ... أجمعينا
سَقَتْ عَيْنُ الغمام هناك رسا	بمكة ضم ... عينك والجفونا
ويا أرضَ الحجاز حيث أرضا	تراثك روضة ... للصالحينا

\*\*\*

أخا الإسلام كنت أخا كريما	وعند مصابنا قلبا ... حنونا
رمثك سهامٌ دهرك بالرزايا	فكنت من التقاة الصابرينا
خرجتم في البلاد مهاجرينا	وهذي سُنَّةٌ في الأولينا
ونافحتم عن الإسلام دهرًا	وصنتم عرضه .. لغة ودينا
وإن رَكَنتُ إلى الدنيا دعاةً	فأنت من الدعاة .. العاملينا
تقلبتِ القلوبُ بنا وكنتم	إلى يوم المنية .. صامدينا
أبا سعد رأيتك .. والمنايا	تصارعكم فتصرعها سنينا
إلى أن جاء يوم كان فيه	لقاءكم برب العالمينا
تأذى من سهام الداء جسم	ولكن روحكم كانت معينا
ولم أر مثل عودك في البرايا	ذوى ورسا وضوع ياسمينا

\*\*\*

أبا سعد وللذكرى شجون	تهيج في مشاعرنا الحينا
فذكراكم هنا في الخالدينا	رحلت عن الديار وأنت فينا

\*\*\*

اللهم اغفر له وارحمه ، وأكرم نُزله ، وأسكنه فسيح جناتك ، واجمعنا معه في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۗ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۗ ﴾  
وَأَدْخُلِي جَنَّاتِي ۖ ﴿



## مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد سيّد الدعاة ، وإمام المجاهدين ، وقائد الغر المحجلين ، وعلى آله وأصحابه الأبطال الأُسْدِ الميامين ، وعلى دعاة الحق ، وقادة الخير بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : ( فإن الدعوة إلى الله عز وجل هي مهمة الرسل والأنبياء الذين هم خيرة الله من عباده ، وسفراؤه إلى خلقه ، وهي أيضًا مهمة خلفاء الرسل ، وورثتهم من العلماء العاملين ، والدعاة المخلصين الصادقين ، وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى ، وبعد التزام منهجه القويم ؛ لأن ثمراتها هداية الناس إلى الحق ، وتجييبهم في الخير ، وتنفيهم من الباطل والشرّ ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (1) .

والدعوة إلى الله عز وجل هي الدعوة إلى دينه ، واتباع هدايته ، وتحكيم منهجه في الأرض ، وإفراده تعالى بالوحدانية والعبادة ، والاستعانة والطاعة ، والبراءة من كل الطواغيت التي تطاع من دون الله ، وإحقاق ما أحق الله ، وإبطال ما أبطل ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله .. وبعبارة موجزة : الدعوة إلى الإسلام خالصًا متكاملًا غير مشوب ولا مجزأ . ومثل هذه الدعوة إلى هذه المعاني ليست بالأمر الهين الذي يقابل بالإغضاء والسكوت ، أو الموافقة والقبول ، وكيف تقبل هذه الدعوة العقول الجامدة ، أو القلوب المريضة ، أو القوى المتسلطة ، أو الفئات التي أضلّها الهوى ، أو أغرقها حب الدنيا ؟ !! .

لهذا كان لا بد لهذه الدعوة العظيمة الشاملة من دعاة أقوياء ، وهداة أشداء ، ومبلغين صابرين ، يتناسبون مع عظمتها وشمولها ، قادرين على أن يمدّوا أشعة ضيائها في أنفس الناس وعقولهم وضمائرهم .. بعد أن تشرق بها جوانحهم ، وتستضيء بها حياتهم (2) .

(1) سورة فصلت الآية : 33 .

(2) من كتاب « ثقافة الداعية » للدكتور يوسف القرضاوي ص : 5 مع بعض التصرف .

إن هذا الداعية الموقّق هو القوّة المحرّكة لعملية الدعوة ، وحركة سيرها وامتدادها . وهذا يجعل العناية بتكوينه ، وإعداده الإعداد الكامل أمراً بالغ الأهمية ، وإلا فإنه سيكون خيبة أمل للأمة جميعاً ، لكونه لم يتهيأ لحمل الرسالة ، ولم يعد صالحاً لهداية الناس !! .

والأمة الإسلامية مع كافة أجناسها وألوانها ولغاتها لا يمكنها أن تصل إلى المجد والعظمة والسيادة ؛ إلا بفضل رجالها المخلصين ، ودعاتها الصادقين ، وعلمائها العاملين .

فبقدر ما يوجد في الأمة دعاة ، وبقدر ما يتحرّكون للدعوة إلى الله ، وبقدر ما يكون عندهم من أخلاقيات إسلامية عالية ، وأساليب في التبليغ ناجحة ، وإشعاعات في الروحانية مشرقة .. فبقدر هذا كله يحقق الله الخير على أيديهم ، ويرفع بعزمتهم وتضحياتهم راية الإسلام عالية خفاقة مؤذنة بنصر مؤزّر ، وفتح مبين ، وعزة إسلامية سامقة .

وربّ سائل يقول : ما المدرسة التي إذا انتسب إليها الدعوة ، ودرسوا موادّ فصولها ، واجتازوا جميع مراحلها .. كانوا بحق الدعاة الأقوياء ، والهداة الحكماء ، والرجال الأوفياء ؟ .

- المدرسة هي مدرسة الدعوة الإسلامية .
- والأعضاء المنتسبون إليها هم الدعاة .
- وموادّ الفصول التي يمزّون على دراستها إلى مرحلة التخرّج هي كما يلي :

الفصل الأول - هذه الدعوة .. ما طبيعتها ؟

الفصل الثاني - الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمي .

الفصل الثالث - وجوب تبليغ الدعوة .

الفصل الرابع - فضل الدعوة والداعية .

الفصل الخامس - صفات الداعية النفسية .

الفصل السادس - روحانية الداعية .

الفصل السابع - أخلاقية الداعية .

الفصل الثامن - ثقافة الداعية .

الفصل التاسع - كيف يدعو الداعية ؟

الفصل العاشر - مواقف الداعية التعبيرية .

الفصل الحادي عشر - العقبات التي تعترض الداعية .

وفي تقديري أن الدعوة إلى الله إذا انتسوا إلى مدرسة الدعوة عازمين ، ودرسوا موادّ فصولها متفهمين مستوعبين ، ثم انطلقوا في ميادين التبليغ صادقين مخلصين .. كان لهم في مجال الدعوة أثر ، وفي نطاق الإصلاح تغيير ، وفي تحرك الدعوة قدوة . ولقد رأيت أن أخرج هذه الفصول أجزاء متسلسلة متتابعة .. تحت شعار « سلسلة مدرسة الدعوة »<sup>(1)</sup> عسى أن يجد فيها شباب الدعوة الزاد لثقافتهم ، والمنهاج لتحركهم ، واليسر في مطالعتهم ، والاستيعاب لأفكارهم ، والمراحل لإعدادهم وتكوينهم .

والله أسأل أن يجد الدعوة في هذه الفصول المتتابعة مقصدهم الأسمى ، وزادهم الأوفى ، وأمنيتهم الغالية .. كما أسأله سبحانه أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبله مني يوم العرض عليه ، وأن ينفع به شباب الدعوة في كل مكان ، إنه خير مسؤول ، وبالإجابة جدير .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبد الله ناصح علوان

أستاذ الدراسات الإسلامية

في جامعة الملك عبد العزيز

(1) وقد طبعت بحمد الله هذه السلسلة ، ثم عرّج لدار السلام بعد أن زاد الطلب على هذه السلسلة أن تجمعها في مجلد لطيف من الحجم الكبير ، وهذا العمل هو ما بين يدي القارئ الكريم .



بِسْمِ اللَّهِ  
مَدَامَةَ الدِّعْوَةِ  
فَصُولُ مَا فِيهِ فِي فَتَى الدِّعْوَةِ وَالذَّاعِيَةِ  
(1)

# هَذِهِ الدِّعْوَةُ .. مَا طَبِيعَتُهَا

عَبْدُ اللَّهِ نَاصِحٌ عَلَوَانٌ

أَسْتَاذُ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
بِجَامِعَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِمَكَّةَ

بَابُ الشُّبُهَاتِ

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوَزُّعِ وَالتَّرْجُمَةِ





## الفصل الأول

### هذه الدعوة .. ما طبيعتها

لابدّ للمدعوّ والداعية أن يعرفا طبيعة هذه الدعوة التي شرف الله الأمم باعتمادها ، وشرفّ الدعاة والعلماء بحملها وتبليغها .

شرف الله الأمم باعتمادها لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ عِزَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ (1) .

وشرفّ الدعاة والعلماء بحملها وتبليغها لقوله جلّ جلاله : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (2) .

والمقصود من طبيعة هذه الدعوة أن يعرف كلّ من المدعوّ والداعية خاتمة هذه الدعوة ولماذا ختمت ؟ وأن يعرف عالميتها ولماذا عُصمت ؟ وأن يعرف خصائصها ولماذا تميّرت ؟ .

ولاشك أن الداعية إذا عرف هذه التصورات عن طبيعة هذه الدعوة ؛ يكون انطلاقه في حملها أشدّ ، ويكون تحفزه في سبيل تبليغها أعظم مهما لقي من أذى واضطهاد ، ومهما اعترضته العقبات والعراقيل .. إلى أن يأذن الله بالتصرّ أو يموت وقد أبرأ ذمّته وأدى ما عليه . ومن المؤكّد أن المدعو إذا عرف هذه الحقائق عن الدعوة التي اعتنقها وآمن بها ؛ يكون تمسّكه بها أقوى ، ومناهضته لمن يحاربها أكبر ، وجهاده في سبيلها أضخم وأعظم .. بل يبقى مؤمناً بها ، ثابتاً عليها ، داعياً إليها إلى أن يلقي الله عز وجل وهو عنه راضٍ في مجمع من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

لذا كان من الطبيعي أن نتكلم في هذا الفصل عن طبيعة الدعوة الإسلامية ، وأظهر مزاياها وخصائصها .. وإليكم بنود طبيعة هذه الدعوة مرتبة مفصلة :

1 - لماذا كانت الدعوة الإسلامية خاتمة الدعوات ؟

2 - لماذا كانت عالمية عامة ؟

3 - ما هي أظهر خصائصها ومزاياها ؟

(2) سورة آل عمران الآية : 104 .

(1) سورة آل عمران الآية : 85 .

## 1 - لماذا كانت الدعوة الإسلامية خاتمة الدعوات (1) ؟ .

كل من عنده بقیة من علم أو فهم أو تجرد .. يعلم علماً أكيداً أن محمداً عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن رسالته التي كُلف بتليغها هي خاتمة الرسالات والشرائع ، ولا ينكر ذلك إلا من كان معانداً للحق ، مستعلياً على الحقيقة ، متجاهلاً طبيعة الإسلام ، منكراً حقائق الأشياء .

والدليل على ختم النبوة من القرآن الكريم : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (2) .

والدليل على ختم النبوة من السنة النبوية : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وُضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » (3) .

ومن المؤيدات على ختم الرسالة في القرآن الكريم :

قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ (4) .

وقوله في سورة الفتح : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ .

وقوله في سورة آل عمران : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

إلى غير ذلك من هذه النصوص القاطعة التي تثبت بشكل لا يقبل الجدل أن شريعة الإسلام ناسخة لجميع الشرائع والديانات ، وأن رسالة محمد ﷺ ودعوته هي خاتمة الرسالات والدعوات ..

ولعل المعقولة في هذا النسخ والحتم والهيمنة : أن رسالة الإسلام جمعت في طياتها دعوة الأنبياء والرسل جميعاً ، وزادت عليها شمولية التشريع الواقعي المتجدد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(1) اقتبست هذا البحث من كتابنا « حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية » صفحة (8 - 10) مع شيء من التصرف .

(2) سورة الأحزاب الآية : 40 .

(3) الآية : 48 .

(4) صحيح مسلم كتاب الفضائل ب (7) برقم (22) .

وهذا التشريع - كما سيأتي بيانه - يمتاز بالخصائص ، ويتصف بالخلود ، ويحمل في طبيعته عوامل نموه وامتداده إلى يوم البعث والنشور .

وصدق الله العظيم القائل في سورة المائدة : ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (1) .

ولعل المعقولة كذلك : أن الإنسانية - عند تنزيل شريعة الإسلام - بلغت من النضج العقلي ، والرشد الإنساني ، ما لم تبلغه في أي مرحلة من مراحل التاريخ .

بل وصلت في نضجها ورشدتها بعد بعثة النبي ﷺ إلى أسنى آيات الفهم والوعي والإدراك والاستيعاب ، مما جعلها تتفهم طبيعة هذا الدين ، وتؤمن به ، وتدعو إليه ، وتجاهد في سبيله ، وتدفع عجلة المدنية والحضارة إلى الأمام ، وتطبع في ضمير الزمان مبادئ التوحيد والعدالة والحرية والمساواة .. بل كان نزول هذا التشريع متلائماً مع مصالح الناس وحاجاتهم ، ومتوافقاً مع أحوالهم وواقع حياتهم ، وملبيئاً حاجة تطورهم وتقدمهم في كل زمان ومكان ؛ لذا كانت التشريعات في عصور الأنبياء والمرسلين من قبل مرحلية ومؤقتة ، فأصبحت بعد بعثة الرسول ﷺ ثابتة خالدة . وكانت محدودة وجزئية ، فأصبحت شاملة وكلية . وكانت خاصة ومحلية ، فأصبحت عامة وعالمية .

وإلى هذه المعقولة من الهيمنة والظهور والنسخ أشار القرآن الكريم حين قال :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (2) .

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ .. ﴾ (3) .

من أجل هذه النصوص ، وهذه المعقولة كانت الرسالة المحمدية ، والدعوة الإسلامية خاتمة الرسالات والدعوات إلى يوم البعث والنشور .

\*\*\*

## 2 - لماذا كانت الدعوة عالمية وعامة ؟

كانت عالمية وعامة لكونها ذات صبغة إنسانية في تشريعها ومبادئها ، فهي رحمة

(3) سورة المائدة الآية : 48 .

(2) سورة الفتح الآية : 28 .

(1) الآية : 3 .

للعالمين ، وهي هداية للناس كافة ، وهي منهاج للبشرية عامة .

فهذه الدعوة الإسلامية ليست تشريعاً لجنس خاص من البشر ، أو لإقليم معين من الأرض ، أو لفئة خاصة من الناس ؛ بل هي لكل إنسان في الوجود بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو أرضه . فلا عنصرية في هذه الدعوة ، ولا عصبية في هذا التشريع ، ولا طبقية في هذا الإسلام ، وإنما الناس سواء كأستان المشط ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

والشعار العام في هذه الصبغة الإنسانية لدعوة الإسلام قوله تبارك وتعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (1) .

● وهذه العالمية للدعوة الإسلامية قد بينها الله جل جلاله في أكثر من آية في كتاب الله :

- قال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (2) .  
 وقال في سورة سبأ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (3) .  
 وقال في سورة الأعراف : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ لِّلَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (4) .  
 ● وهذه العالمية للدعوة أكدها النبي ﷺ في أكثر من مناسبة :

روى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أعطيتُ خمساً لم يعطهنَّ نبيّ قبلي : نصرتهُ بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل ، وأحللت لي الغنائم ، وأعطيتُ الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصّة وبعثتُ إلى الناس عامّة » (4) .

وثبت تاريخياً - عن طريق الرواية الصحيحة - أنه عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الملوك والرؤساء في عصره كالنجاشي ، وكسرى ، وقيصر ، والمقوقس ... كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وكان شعاره في ذلك : « أسلم تسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ( أي الفلاحين والعامّة ) » .

فلو لم تكن دعوته عليه الصلاة والسلام عالمية لما أرسل إلى ملوك الأرض يدعوهم

(2) الآية : 28 .

(1) سورة الحجرات الآية : 13 .

(4) اللؤلؤ والمرجان ( 1 / 104 ) برقم (299) .

(3) الآية : 158 .

بدعاية الإسلام ، ويأمرهم باعتناق هذا الدين .

● ومن المؤيدات لهذه العالمية : تحميل القرآن الكريم أمة الإسلام في كل زمان ومكان أمانة التبليغ والدعوة في آفاق الدنيا ، ومجاهل الأرض وأصناف الأمم .

وهذا التحميل لأمانة التبليغ والدعوة بينه الله عز وجل في أكثر من آية في كتاب الله سبحانه :

قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. ﴾ (1) .

وقال في سورة البقرة : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (2) .

وقال في سورة يوسف : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي .. ﴾ (3) .

فانطلاقاً من هذه الأوامر الربانية ، والإرشادات القرآنية ؛ انطلق المسلمون في آفاق الأرض ، وأرجاء الدنيا ، يبلِّغون رسالات الله ، ويدعون إلى الله ، ويعلمون التوحيد ، وينشرون الإسلام .. وشعارهم في ذلك :

( ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ) (4) .

( وهذه الميزة العالمية للدعوة الإسلامية إنما هي أثر من آثار الصبغة الربانية في هذا التشريع ، فلو كان واضعه فرداً أو فئة من الناس ، لتعصبت - بوعي أو بلا وعي - لجنسها وطبقتها ومصالحها . ولكن المشرع هنا - كما هو معلوم - رب الناس ، إله الناس ، فهم جميعاً عباده ، لا فضل لفرد منهم على فرد ، ولا لفئة على أخرى بحكم الخلق والنشأة ) (5) .

ولعل المعقولة في هذه العالمية - كما سبق ذكره - لتحقيق وحدة التشريع العالمي لأمم الأرض ، ليتّم لها الاستقرار والسلام والحبّة ، ولتنصّب بالصبغة الربانية الخالصة .

ألا فليدرك شباب الدعوة هذه المزايا العالمية لدعوة الإسلام ؟ !! ..

(3) الآية : 108 .

(2) الآية : 143 .

(1) الآية : 110 .

(4) كلام « ربي بن عامر » أمام « رستم » قائد جيش الفرس في معركة القادسية انظر البداية والنهاية 39 / 7 .

(5) من كتاب « شريعة الإسلام » للدكتور القرضاوي صفحة : 20 .

### 3 - ما هي اظهر خصائص هذه الدعوة ؟

من الأمور المسلمة التي لا يكاد يختلف فيها اثنان ؛ أن لكل نظام من الأنظمة سواء أكان نظامًا ربانيًا أو كان نظامًا وضعيًا لابد له من خصائص يُعرف بها ، ويتميز بها عن غيره . فما هي أظهر خصائص دعوة الإسلام ؟ أو بعبارة أوضح : ما هي طبيعة مبادئ الشريعة الإسلامية الغراء التي تتميز بها عن غيرها من النظم الأرضية ، والمذاهب البشرية ؟ أرى هذه الخصائص في دعوة الإسلام تتركز في النقاط التالية :

#### 1 - الربانية :

نقصد بالربانية : أن أحكام هذه الشريعة وأنظمتها ومبادئها ليست من وضع بشر يحكمه القصور والعجز والتأثر بمؤثرات المكان والزمان والثقافة ، ومؤثرات الوراثة والتزعزعة والمزاج والهوى .. وإنما شارعها صاحب الخلق والأمر في هذا الكون ، ورب كل ما فيه ومن فيه ، الذي أحسن كل شيء خلقه .

والمؤمن حين يندفع إلى تطبيق المنهج الرباني على نفسه ، يندفع بكلية وهو مرتاح عن رغبة وصدق ، وإخلاص وطواعية .

#### لماذا يندفع المؤمن هذا الاندفاع ؟

● لأنه يعلم علمًا أكيدًا أن الله سبحانه هو الخالق المبدع القادر . فله أن يتصرف في شئونه خلقه كما يريد وكما يشاء ، وليس للإنسان المخلوق الضعيف القاصر إلا أن يمثل ما اختاره الله له دون توقف أو تردد .

قال تعالى في سورة القصص : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

وقال في سورة الأحزاب : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ .. ﴾ (1) .

● ولأنه يعلم علمًا أكيدًا أن الله سبحانه عليهم بكل شيء .

فهو أعلم بما يشرع لعباده من أحكام ، وأدرى بما يحقق لهم من مصالح .

- قال تعالى في سورة المُلْك : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٥) .

وقال في سورة البقرة : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٧) .

● ولأنه يعلم علماً أكيداً أن الله سبحانه حكيم في كل ما يشرعه ويخلقه ، وحكمته جلّ جلاله معناها أن يضع كلّ شيء في موضعه المناسب بالشكل الذي يؤدي إلى تحقيق المصالح ، ودرء المفاسد .

قال تعالى في سورة الأنفال : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٧١) .

وقال في سورة الأنفال أيضاً : ﴿ إِنَّهُمْ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٧٢) .

● ولأنه يعلم علماً أكيداً أن الإنسان - مهما علا شأنه - ضعيف في حدّ ذاته ، عاجز عن أن يصل إلى مرتبة الكمال والنضج مهما ارتقى علمه ، ونضجت ثقافته .

قال تعالى في سورة الروم : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ (١١) .

وقال في سورة النساء : ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ (١٨٨) .

وقال في سورة يوسف : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢١٣) .

عدا أن الإنسان - كما أضحنا - يتأثر بالبيئة ، ويتأثر بالعاطفة ، ويتأثر بالوراثة ، ويتأثر بالعقيدة التي يعتنقها ، ويتأثر بالنزعة التي يندفع إليها .

ولأضرب على ذلك الأمثال :

هذا الإنسان الذي كلّف لأن يضع لأمة ما نظامها ، ومنهجها .. يأتي من هو أعلم منه تفنيئاً ، وأكثر منه ثقافة ، فينقض له كل ما سنّه من نظم ، وما فنّته من قوانين .

وهذا الإنسان المتأثر بالفكر الماركسي ، حين يكون مختصّاً بالقانون ، ويكلّف لأن يضع لأمة ما دستورها ؛ يضع بنود هذا الدستور بما يتفق مع الفكر الماركسي الشيوعي .

وهذا الإنسان المتأثر بالفكر الرأسمالي ، حين يكون مختصّاً بالقانون ، ويكلّف لأن يضع لأمة ما دستورها ؛ يضع بنود هذا الدستور بما يتفق مع الفكر الرأسمالي الغربي .

وهذا الإنسان المتأثر بالنزعة الوجودية الإباحية يضع القوانين للأمة بما يتفق مع

هذه النزعة الإباحية .

وهذا الإنسان المتأثر بالنزعة التسلطية الفردية يضع القوانين للأمة بما يتفق مع هذه النزعة التسلطية .

إلى غير ذلك من هذه المؤثرات ، والنزعات ، والمبادئ ، والأهواء .

والمواقع الدولي ، والصراع العالمي ، والتناقض المذهبي ، والتباين الفكري الذي آلت إليه المجتمعات الإنسانية في العصر الحديث أكثر شاهد على ما نقول ، بل أعظم برهان على أن الإنسان في طبيعته وحقيقته ذاته يتأثر بالنزعة والهوى ، والبيئة والوراثة ، والعقيدة والمبدأ ، وأن عقله مهما سما ؛ قاصر ، وأن علمه مهما اتسع ؛ محدود ، وأنه عاجز عن وضع التشريع لنفسه مهما بلغ درجة النضج والكمال ، وفوق كل ذي علم عليم .

لهذا كله نجد المؤمن الواعي البصير المتفهم للحقيقة يندفع بكليته ، وينطلق من ذاته إلى تطبيق المنهج الرباني على نفسه ، وعلى من يكون تحت ولايته ؛ لاعتقاده الجازم أن كمال شخصيته ، وبناء إنسانيته ، وإصلاح بني قومه لا يتم على الوجه اللائق إلا أن يأخذ بمن اختص بالكمال والجلال ، وينقاد إلى من تنزه عن النقص والقصور ، ويستسلم إلى من عرف بالعظمة والإبداع .. ألا وهو الله سبحانه وحده !!؟

وصدق الله العظيم القائل في سورة الأحزاب : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (1) .

والمقائل في سورة الأنعام : ﴿ أَفَعَصَى اللَّهُ آتِنَا حِكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ (2) .

والمقائل في سورة المائدة : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

هل عرف شباب الدعوة ما معنى الربانية ؟ وما يقصد منها !!؟

\*\*\*

ب - الشمول :

ونقصد بالشمول : أن الشريعة الإسلامية الغراء اشتملت على نظم وأحكام وتشريعات في كل جانب من جوانب التكوين والبناء والإصلاح ، وفي كل ناحية من نواحي



المجتمع والحياة ، سواء ما يتعلق بالعقائد والعبادات والأخلاق ، أو ما يتعلق بالقوانين العامة من مسائل مدنية ، وأمور جنائية ، وأحوال شخصية ، ونظم اجتماعية ، وعلاقات دولية ... ، أو ما يتعلق بأسس الحكم ، ومبادئ الاقتصاد ، وأصول المعاملات ، وركائز المجتمع الفاضل .

كل ذلك في مبادئ دقيقة مُحكمة ، وفي تشريعات ربانية خالدة تعطي ولا تأخذ ، وتجمع ولا تفرق ، وتؤلف ولا تبدد ، وتبني ولا تهدم ، تنزّل من حكيم حميد .

ومما يدل على شمول الشريعة الإسلامية لكل أنظمة الحياة :

أولاً : التجربة التاريخية التي بدأت منذ تأسيس الدولة الإسلامية الأولى بقيادة الرسول ﷺ في الجزيرة العربية ، والتي انتهت بزوال الخلافة العثمانية على يد العميل الخائن الملحد « أتاتورك » فالإسلام في هذه العصور جميعاً كان يحكم الواقع والحياة . وكانت التجربة رائدة وناجحة ومحققة الخير والأمن والاستقرار لبني الإنسان بشهادة الخصوم كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

ثانياً : النصوص القرآنية التي تنطق بالحق والهدى :

قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (1) .

وقال في سورة النحل : ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ رَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

ونوضح خاصية الشمول بالأمثلة ولنقتصر على المسائل المدنية والاقتصادية والدستورية ، والقوانين الجنائية ، والعلاقات الدولية ؛ باعتبار أن هذه الأمور تأخذ من اهتمام المقتنين والمشرعين في العصر الحديث ، ويعتبرونها الأساس لأنظمة الحياة :

ففي القضايا المدنية والاقتصادية يقول الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بَيْنَ يَدَيْنِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ ... وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ... وَلَا تَكُونُوا الشَّاهِدَةَ .. ﴾ (2) .

وفي القضايا الدستورية يقول الله تعالى في سورة الشورى : ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُرَىٰ يَتِمُّمْ ﴾ (3) .

وفي المسائل القضائية يقول جلّ جلاله في سورة النساء : ﴿ وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ

النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿١﴾ .

وفي العقوبات الجنائية يقول عز من قائل في سورة البقرة : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ ... ﴾ (٢) .

وفي الإعداد الحربي يقول القرآن الكريم في سورة الأنفال : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (٣) .

وفي العلاقات الدولية يقول من بيده الخلق والأمر في سورة المنتحنة : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٤) .

إلى غير ذلك من هذه القواعد والأحكام والمبادئ الميينة : إما في قرآن كريم ، أو سنة مطهرة ، أو إجماع ، أو قياس .

وما ذاك إلا تأكيد شامل على ظاهرة الشمولية التي انطوت عليها شريعة الإسلام ، لترتشف الإنسانية على مر العصور من معيها الصافي ، وتغترف الأجيال على مدى الزمان من بحرها الهادر الزاخر ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٤) .

من هذا المنطلق في خاصية الشمولية :

يقول العلامة الكبير « ساتيلانا » : « إن في الفقه الإسلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم إن لم نقل ما يكفي الإنسانية كلها » .

ويقول الدكتور « هوكنج » أستاذ الفلسفة في جامعة « هارفارد » : « إن في نظام الإسلام استعدادًا داخليًا للنمو ، وإني أشعر بأني على حق حين أقرر أن الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادئ اللازمة للنهوض » .

ويقول القانوني الكبير « فمبيري » : « إن فقه الإسلام واسع إلى درجة أنني أعجب كل العجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لزمانكم ومكانكم .. » .

وهذه الشهادة على شمولية الإسلام ، ومبادئه الحية الباقية هي شهادة أساطين

(3) الآية : 60 .

(2) الآية : 178 .

(1) الآية : 58 .

(4) سورة المائدة الآية : 50 .

الفقه والقانون في العالم .

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟

\*\*\*

### ج - العطاء والتجدد :

إن المتأمل في مبادئ الشريعة الإسلامية الغراء ، وقواعدها الكلية ، يجد أن هذه الشريعة تفي بحاجات الزمن المتطور ، وتواكب حضارة العصور المتقلّبة ؛ ولا سيما المبادئ والقواعد التي لها ارتباط بأحكام المعاملات ، والمسائل الدستورية ، والنظم الاقتصادية ، والعلاقات الدولية ، والقضايا المدنية .. ولنضرب على ذلك الأمثلة :

القرآن الكريم في المسائل الدستورية ، والأمور القضائية .. نصّ بوضوح على قاعدة العدل :

﴿ أَعِدُّوا لَهُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (1)

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (2)

فقاعدة العدل التي نصت عليها الآيتان الكريمتان قاعدة كلية ثابتة لا تبدّل ولا تتغير ، وهذه القاعدة يجب العمل بها في كل زمان ومكان ، ولكن وسائل تطبيق قاعدة العدل متروك للزمن المتطور ، والحياة المتجدّدة ، فتطبيق قاعدة العدل في محكمة واحدة ، أو بتعدد من المحاكم ، أو بفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية .. فهذا كله متروك لأهل الحلّ والعقد ، بل متروك للأصلح من تجارب البشرية .

فمقصود الشريعة الأول تطبيق مبدأ العدل ، فليكن التطبيق بأية وسيلة ، وبأية صورة ارتأها أهل الحلّ والعقد ، وبأي تنظيم وبأي إطار أشار إليه المختصّون في هذا المجال ما دامت هذه التنظيمات والوسائل تطبّق قاعدة العدل وتحقق مبدأ المساواة بالنسبة للجميع .

وكذلك قاعدة الشورى ..

فالقرآن الكريم نص على هذه القاعدة بوضوح : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (3)

(1) سورة المائدة الآية : 8 .

(2) سورة النساء الآية : 58 .

(3) سورة آل عمران الآية : 159 .

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ (1) .

فقاعدة الشورى التي نصّت عليها الآيتان قاعدة كلية ثابتة لا تبدل ولا تتغير . وهذه القاعدة يجب العمل بها في كل زمان ومكان ، ولكن وسائل تطبيق قاعدة الشورى متروك للزمن والحياة .. فتطبيق قاعدة الشورى في مجلس استشاري يضم النخبة من أهل الاختصاص والرأي ، أو في مجلس انتخابي ينتخبه الشعب ، أو انتقاء مجالس وزارية من أهل الخبرة والمشورة ، أو انتخاب مجالس محلية لكل مقاطعة أو بلد ... فهذا كله متروك للأصلح من تجارب البشرية !!

فمقصد البريعة الأول تطبيق قاعدة الشورى ، فليكن التطبيق بأية وسيلة كانت ، وبأية صورة أو هيئة ارتأها أهل الحلّ والعقد ، مادامت الدولة بمسؤولها الأول ، ووزرائها ورجال الحكم فيها تحقق قاعدة الشورى ، وتقوم على تنفيذ مبدأ ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ .

ولنفس على ذلك :

مبدأ المساواة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ ﴾ (2) .  
ومبدأ إعداد القوة في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (3) .  
ومبدأ تنظيم الدين في قوله تعالى : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِكُمْ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ (4) .  
ومبدأ الجنوح للسلم في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (5) .  
ومبدأ تنظيم العقود في قوله تعالى : ﴿ يَكْتُبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (6) .  
إلى غير ذلك من هذه المبادئ والقواعد التي نصّت عليها شريعة الإسلام الخالدة .

وهنا يرد تساؤل : هل أحكام الشريعة قابلة للتجدد والتطور ؟

للإجابة على هذا التساؤل يجدر أن نقسم الأحكام التشريعية إلى ثلاثة أقسام :

1 - مسائل تشريعية قابلة للتجديد .

2 - مسائل تشريعية قابلة للتبديل .

3 - مسائل تشريعية ثابتة غير قابلة لتجديد ولا تبديل .

(1) سورة الشورى الآية : 38 . (2) سورة الحجرات الآية : 13 . (3) سورة الأنفال الآية : 60 .  
(4) سورة البقرة الآية : 282 . (5) سورة الأنفال الآية : 67 . (6) سورة المائدة الآية : 1 .

### ● اما المسائل التشريعية القابلة للتجديد :

فقد سبق أن ذكرنا المبادئ والقواعد التي لها الارتباط الوثيق بالمعاملات المالية ، والشؤون الاقتصادية ، والنظم القضائية ، والقضايا الإدارية والدستورية .

فالإسلام - كما ذكرنا - نصّ على هذه المسائل بقواعد عامة ، ومبادئ كلية من غير تعرّض إلى تفصيلات أو جزئيات أو مراحل ، وترك أمر التطبيق والهيئة والشكل للأصلح من تجارب البشرية كقاعدة العدل ، وقاعدة الشورى ، وقاعدة كتابة العقود .. كما سبق الشرح والبيان .

فالشريعة في هذه المسائل إذن اكتفت بتثبيت القاعدة ، وتحديد الإطار العام ، وتركت وسائل التطبيق ، وتفصيلات التنفيذ لأهل الحل والعقد ، وهيئة الخبرة والاختصاص كلّ على حسب زمانه ومكانه ، شريطة أن لا تتعارض هذه الوسائل والتفصيلات مع نص صريح ، أو تخرج عن القاعدة العامة ، أو تتجاوز هذا الإطار المحدّد لها .

\*\*\*

### ● اما المسائل التشريعية القابلة للتبديل :

فهي المسائل التي لم يرد فيها نصّ أصلاً لا في كتاب ، ولا في سنة ، ولا إجماع ، ولا قياس ؛ هذه المسائل خاضعة للاجتهاد الزمني ، والتطور المصلحي .. حيث يجتهد بهذه المسائل المستحدثة المستجدة علماء راسخون مختصّون ، متّسمون بالورع والتقوى ، ومتّصفون بملكة الفهم والاجتهاد . فيصدرون أحكامهم بما يحقق وجه المصلحة ، وبما يتلاءم مع التطور الحضاري ، والتقدّم العلمي .. كبيان حكم الإسلام في الضمانات التقاعدية للموظف والعامل ، وفي تعويض التسريح ، وفي التعويض العائلي ، وفي التأمين الصحي .. فهذه المسائل وما كان على شاكلتها مما لم يرد فيها نص ، وتتفق مع روح الشريعة ومقصدتها العام ، تحتاج إلى نُخبة من أهل العلم والاختصاص ليقرّروا حكم الإسلام فيها على ضوء المصلحة والتطور ، وروح الشريعة ، ومقاصدها العامة .

وبناء على هذا يقول علماء الأصول : « لا ينكر تغيير الأحكام بتغيير الأزمان » .

\*\*\*

### ● اما المسائل التشريعية الثابتة غير القابلة لتجديدٍ ولا تبديلٍ :

فهي المسائل التي وردت فيها نصوص قطعية ثابتة لا مجال لتجديدها وتبديلها ، والاجتهاد فيها ، كمسائل العقيدة ، وأركان الإيمان ، وأحكام العبادات ، وأمور المعاملات .. وكحرمة الزنى ، والربا ، والخمر ، والميسر ، وقتل النفس ، وتحديد أنصبة الموارث ، وتحديد عدة الطلاق والوفاة .. وكالنهى عن السفور ، والاختلاط بين الجنسين ، وخروج المرأة متبرجة .. ونحوها .

فهذه النصوص التي بينت هذه الأمور كلها هي نصوص قطعية ، وأحكام ثابتة ؛ بل هي منطقة محرمة ، لا يتطرق إليها الاجتهاد ، ولا تخضع لأي تبديل أو تعديل لحكمة يعلمها الله ، وكثيراً ما يدرك الإنسان بعقله وتجربته ومشاهداته السر من الأمر أو النهي ، والحكمة من الحل أو التحريم .

وقلنا إنها منطقة محرمة لا يتطرق إليها الاجتهاد ؛ لأن كل من يريد أن يبذل فيها ، أو يجتهد في تطويرها يكون هادماً للشريعة ، ومحارباً لله والرسول ، وخالفاً عن عنقه ربة الإسلام . وبناء على هذا يقول علماء الأصول : « لا مجال للاجتهاد في مورد النص » .  
ومما يدل على عطاء هذه الشريعة وتجديدها المستمر على مدى الزمان والأيام ؛ أنها أتت بقواعد تشريعية ميسرة مُستنبطة من استقراء النصوص ، وأسباب النزول ، ووقائع الأحداث ، ومقاصد الشريعة . مثل :

« الضرر يزال » .

« الضرر لا يزال بالضرر » .

« يُتَحْتَمَلُ الضَّرَرُ الْخَاصُّ لِدَفْعِ الضَّرَرِ الْعَامِ » .

« الضرورات تبيح المحظورات » .

« ما أُبِيحَ لِلضَّرُورَةِ يُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا » .

« درء المفسدة يقدم على جلب المصلحة » .

ألا فليعلم رجال الدعوة الإسلامية كيف يكون عطاء الشريعة ؟ وكيف يكون تجديدها على مدى الزمان والأيام !!؟

#### د - التوافق بين المادية والروحانية :

ومن خصائص التشريع الإسلامي أنه يلائم بين المادة والروح ، ويفرق بين الدنيا والآخرة ، ويربط بين العبادة والحياة .. بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة متكاملة توظف الإنسان على أن يؤدي حق ربه ، وحق نفسه ، وحق غيره بكل دقة وأمانة وتساوٍ وتنسيق ؛ وبهذا يتسنى للإنسان أن يمارس الحياة الاجتماعية العملية بكل طاقاته وأشواقه على أسس من مبادئ الإسلام توافق الفطرة ، وتتلاءم مع واقعية الحياة .

فالإسلام بتشريعه المتكامل لا يُقَرِّر الحرمان ، ولا الترهين ، ولا العزلة الاجتماعية ، وفي الوقت نفسه لا يُقَرِّر الإنسان في أن ينهمك بكليته في الحياة المادية ، وينسى ربه والدار الآخرة ، بل يهيب به أن يتوازن مع هذا وذاك ، وأن يعطي حق الله ، وحق نفسه ، وحق الناس دون أن يغلب حقاً على حق ، ودون أن يتساهل في واجب على حساب واجب آخر .  
والقرآن الكريم قد قرّر هذا التوازن بين المادة والروح ، وبين العبادة والحياة في كثير من آياته التي تلامس المشاعر والوجدان قبل أن تخاطب عقل الإنسان .

ففي تذكيره بأداء حق الله في العبادة في غمرة الانهماك في الأعمال الدنيوية ، والمزاوالت التجارية يقول في سورة النور : ﴿ رِجَالٌ لَا لُتْهِمِهِمْ تَحْرُجٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَلْقَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٧٧) .

وفي تذكيره بأداء حق النفس والعيال في التكسب ، وابتغاء الرزق في غمرة المناجاة الربانية ، والنفحات المسجدية ، يقول في سورة الجمعة : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ .. ﴾ (١) .

ومن الأصول التي وضعها القرآن الكريم في هذا التوافق : ابتغاء الدار الآخرة مع الأخذ بحفظ الدنيا : قال الله تعالى في سورة القصص : ﴿ وَأَيَّتِغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا .. ﴾ (٢) .

الاستنكار على من يحرم على نفسه الزينة المباحة ، والطيبات من الرزق . قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣) .

وما ذاك إلا ليوافق الإنسان بين الدين والدنيا ، والعبادة والحياة .

ولو تأملنا مواقف رسول الله ﷺ في تحقيق التوافق ، ومعالجة ظاهرة العزلة والانطوائية والتخلّي عن الدنيا ؛ لآزددنا يقيناً أن هذه المواقف ، وهذه المعالجة قائمة على إدراك فطرة الإنسان ، ورامية إلى تلبية أشواقه وميوله ، حتى لا يتجاوز أيّ فرد من أفراد المجتمع حدود فطرته ، ولا يسلك سبيلاً منحرفاً يصطدم مع أشواقه ؛ بل يسير على مقتضى المنهج القويم السويّ الذي رسمه الإسلام سيرةً طبيعياً متوازناً معتدلاً سويّاً بلا عوج ولا شذوذ ولا التواء .

واليكم بعض هذه المواقف :

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ( أي وجدوها قليلة ) ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! ..

قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً !!

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر !!

وقال آخر : أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً !!

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » <sup>(1)</sup> .

ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام أنكّر على عبد الله بن عمرو بن العاص حينما علم أنه قد تخلّى عن الدنيا ، وعزم على نفسه أن لا ينام ، وأن لا يفطر ، وأن لا يأكل اللحم ، وأن لا يؤدي إلى أهله حقها ، فقال له عليه الصلاة والسلام ناصحاً وموجهاً ومرشداً : « إن لك في رسول الله أسوة حسنة ، إن رسول الله ﷺ ينام ويصلي ، ويصوم ويفطر ، ويأكل اللحم ، ويؤدي إلى أهله حقوقهن . يا عبد الله بن عمرو : إن لله عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حقّ حقه » <sup>(2)</sup> .

(1) البخاري كتاب النكاح برقم 5063 ، 3 / 142 ، ومسلم رقم 1401 في النكاح .

(2) حديث صحيح ، وانظر صحيح البخاري 4 / 189 ، 190 باب حق الجسم في الصوم .



من هذه المواقف التي وقفها النبي ﷺ مع أصحابه تعطينا دليلاً قاطعاً ، وحجة بيّنة على أن هذا الإسلام العظيم هو دين الفطرة ، والتوازن ، والوسطية ، والاعتدال ؛ يضع الأسس الكفيلة ، والمبادئ الواقعية في بناء الشخصية الإنسانية واكتمالها وتوازنها لتنهض برسالتها ، ومهمتها في الحياة على أكمل وجه .

هذا شرع الله فأروني ماذا شرع الذين من دونه ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون .

\*\*\*

#### هـ - اليسر والبساطة والمعقولة :

إن المتتبع لتعاليم الشريعة الإسلامية العزّاء يجدها تمتاز باليسر والبساطة والمعقولة .  
تمتاز باليسر لأن من مبادئها الأساسية :

- ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (1) .  
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (2) .  
﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (3) .  
﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ (4) .

فهذه النصوص وغيرها تؤكد تأكيداً جازماً أن الإسلام مبدأه السمحة لا يكلف الإنسان فوق طاقته ، ولا يحتمله من المسؤوليات فوق استعداده ، بل نجد كل هذه التكاليف والمسؤوليات تدخل في حيز الإمكان البشري ، والطاقة الإنسانية ، لكي لا يكون لأي إنسان عذر أو حجة في التخلف عن أمر شرعي ، أو ارتكاب مخالفة إسلامية .  
ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة :

من يسر هذه الشريعة أنها شرعت الحج للمسلم القادر المستطيع في العمر مرة واحدة .  
ومن يسرها أنها شرعت الزكاة للقادر المالك للنصاب بنسبة 2,5٪ في المائة على الأمور النقدية ، وعروض التجارة في العام مرة واحدة .  
ومن يسرها أنها شرعت للمسلم خمس صلوات في اليوم والليلة ، يؤديها في

(2) سورة الحج الآية : 78 .

(4) سورة البقرة الآية : 173 .

(1) سورة البقرة الآية : 185 .

(3) سورة البقرة الآية : 286 .

أوقات مخصوصة متفرقة في المكان الذي يريد ، ويسرت أمر أدائها بالتيمم عند فقد الماء ، وبأدائها قاعدًا أو مضطجعًا أو موميًا في حالة العجز أو المرض ؛ وبالجمع بين صلاتين مع قصر الرباعية في السفر .

ومن يسرها أنها شرعت الصوم شهرًا قمريًا واحدًا في السنة ، يصومه المسلم مستديرًا مع الفصول الأربعة ، وأباحت للصائم أن يفطر إذا كان مريضًا أو على سفر .

ومن يسرها أنها أباحت للمسلم تناول المحرم أو أكل الميتة ؛ إذا أشرف على الهلاك ولم يجد شرابًا أو طعامًا يسد الحاجة .

وتمتاز بالبساطة والمعقولية :

لأن مبادئها واضحة بسيطة مفهومة يعقلها كل ذي عقل ، ويفهمها كل ذي فهم ، ويستجيب لها كل ذي فطرة سليمة صافية .

ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة :

من بساطة الشريعة ومعقوليتها أنها أمرت الإنسان أن يفكر ويقدر ويتأمل ؛ ليصل إلى حقيقة الإيمان بواجد الوجود سبحانه ، ويقرّ جزمًا واعتقادًا بوحدانية الله المتفردة ، وقدرته المطلقة .

ومن بساطتها ومعقوليتها أنها جعلت الصلة بين الخالق والمخلوق قائمة على الاعتقاد أن الله هو رب كل شيء ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو الذي يجب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء .

ومن بساطتها ومعقوليتها أنها حاربت الخرافة والكهنوتية بكل أشكالها وصورها .. حاربت فكرة التثليث ، وفكرة الوساطة بين الخالق والمخلوق ، ونعتت بشدة على أولئك الذين يخدعون الجماهير بكرسي الاعتراف ، ويبيع صكوك الغفران ، ومنح الجنة وحرمان النار .

ومن بساطتها ومعقوليتها أنها تقبل التوبة من كل من يترك باب الله عز وجل تائبًا منيبًا صادقًا ؛ مهما كان موغلًا في الكفر ، متماديًا في الفسوق والعصيان دون واسطة من أحد .

ومن بساطتها ومعقوليتها أنها ربطت الإيمان بالحياة ، والعقيدة بالعمل ؛ فالمسلم لا يكون عند الله مسلمًا إلا إذا سلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن لا يكون عند

الله مؤمناً إلا إذا أمنه الناس على دمائهم وأموالهم .

ومن بساطتها ومعقوليتها تقريرها بأن النية الصالحة شرط لقبول العمل عند الله عز وجل ، فهذه النية إذا تحققت في المسلم بشكل دائم ، فإنها تقلب العمل - مهما كان نوعه - إلى عبادة لله ، وطاعة لرب العالمين ؛ وبناءً على هذا يقول علماء الفقه والأصول : « إن النية الصالحة تقلب العادة إلى عبادة » .

هذا هو الإسلام في بساطته ويسره ومعقوليته وواقعيته . ألا فليفهم شباب الدعوة هذه الحقيقة !!؟

\* \* \*

### ز - الأصالة والخلود :

ومن أميز خصائص الشريعة الإسلامية أنها تتصف بالأصالة الباقية ، والخلود السرمدي في نصوصها ومصادرها دون أن يتطرق إليها تحريف ، أو يطرأ عليها تعديل أو تغيير .

فالقرآن الكريم الذي هو المصدر الأول من مصادر الشريعة ، وقد تكفل الله حفظه وبقائه إلى يوم البعث والنشور ، وذلك في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ <sup>(1)</sup> .

وها هو ذا قد مضى على نزول القرآن الكريم أربعة عشر قرناً ، فالقرآن هو القرآن في لفظه ومعناه ، وتجويده وأدائه .

وكم يُسّر المسلم حين يفتح أي إذاعة من إذاعات العالم ، ليستمع إلى ما تبثه من آيات الله البنات .. كم يُسّر حين يجد التلاوات كلها متفقة ، والقراءات جميعها واحدة ؛ بل يزداد يقيناً بأصالة هذا القرآن ، ويحفظ الله له على مدى الزمان والأيام !!؟

وكم حاول أعداء الإسلام عبر التاريخ ، وخلال العصور أن يبدّلوا في القرآن - ولو كلمة - فهل استطاعوا ، وهل وصلوا إلى هدفهم الخبيث ؟.

الدنيا تعلم ، والتاريخ يشهد أن محاولاتهم الآثمة ، ومؤامراتهم المغرضة باءت بالهزيمة والفشل ، بل عادت عليهم بالفضيحة والعار ، ولعنة الأجيال والتاريخ .

ولقد شهد لأصالة القرآن وخلوده الأبديّ على مدى الزمان منصفون من رجالات الغرب قالوا كلمة الحق بنزاهة وتجرد ، ووضحوا الحقيقة بدقّة وأمانة !!.

(1) سورة الحجر الآية : 9 .

ومن هؤلاء البروفسور «رينولد نيكلسون» في كتابه «التاريخ الأدبي للعرب»، يقول هذا العالم بالحرف الواحد: «القرآن الكريم وثيقة إنسانية رائعة، توضح بدقة سرّ تصرفات محمد ﷺ في جميع أحداث حياته، حتى إننا لنجد فيه مادة فريدة لا تقبل الشك أو الجدل، نستطيع خلالها أن نتتبع سير الإسلام منذ نشأته وظهوره في التاريخ المبكر، وهذا ما لا تجد له مثيلاً في البوذية أو المسيحية أو أي دين من الأديان القديمة..» .  
والسنة النبوية التي هي المصدر الثاني من مصادر الشريعة، بل هي المبيّنة للقرآن الكريم، والمكمّلة لنظام الإسلام.

هذه السنة قد هيأ الله لها من يحفظها من عبث العابثين، ووضع الوضّاعين، ودسّ المغرضين.. هيأ لها علماء أثباتاً، ومحدّثين أفذاذاً، ورجالاً فطاحل لم يشهد التاريخ الإنساني أبه منهم، ولا أدقّ في بيان درجة الحديث، ومعرفة أحوال السند والمتن، وأصول الرواية والدراية؛ حتى وصلت السنّة إلينا نقيّة خالصة لم يعترها أي شبهة، ولم يطرأ عليها أي علة. وأصبح الآن كل إنسان حين يرجع إلى أسفار السنّة، ومراجع الحديث الأساسية.. يعرف أيّ حديث - يريد التحقق منه - من حيث الصحة أو الضعف، أو يعرف سنده من حيث التعديل أو الجرح.. وما ذاك إلا ببجهود أهل الحديث الثقات الأثبات الأفذاذ على مدى العصور.

وإليكم هذا الموقف التاريخي الذي يؤيد ما نقول:

سمع الخليفة العباسي «هارون الرشيد» أن زنديقاً لقق أحاديث موضوعة ونسبها إلى الرسول ﷺ، والرسول ﷺ لم يقل منها حرفاً واحداً، فأمر باستدعائه، والمثول بين يديه، فلما أقرّ عرضه على السيف، وقبل أن يقتل؛ قال الزنديق للخليفة: أين أنتم من الأحاديث التي وضعتها فيكم، وقد أحللت فيها الحرام، وحرمت فيها الحلال، والرسول لم يقل منها حرفاً واحداً؟!.. فقال له الخليفة على الفور: أين أنت يا زنديق من أبي إسحاق الفزاري، وعبد الله ابن المبارك، فإنهما سينخلانها نخلاً، ويخرجانها حرفاً حرفاً؟! ثم أمر بقتله فقتل.

وما دامت السنة تابعة للقرآن الكريم في تبيانها وتكميلها وتأكيدها؛ فالله سبحانه وتعالى حفظها وخلودها كما تولّى القرآن الكريم سواء بسواء إلى يوم البعث والدين.

هذه هي الشريعة في أصالة نصوصها، وخلود مصادرها على مدى الزمان والأيام، فهل علم شباب الدعوة هذه الحقيقة؟ وهل عرفوا هذه الخصيصة الرائعة؟

## و - العدل المطلق :

من المعلوم لدى كل ذي فهم وبصيرة « أن هدف الشريعة الأساسي هو إقامة العدل المطلق بين الناس جميعًا ، وتحقيق المساواة بينهم ، وصيانة دمائهم وأعراضهم وأموالهم وعقولهم ، كما صان لهم دينهم وأخلاقهم ؛ فغايتها الوحيدة تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد ، وليست غاية الشريعة تحقيق مصلحة طبقة خاصة دون طبقة ، ولا جنس دون جنس ، ولا أمة دون أمة ؛ وليست غايتها تحقيق المصلحة المادية مع إهمال الناحية الخلقية والروحية ، وليست غايتها تحقيق المصلحة الدنيوية بقطع النظر عن المصالح الأخروية كما تفعل القوانين الأرضية ؛ وليست غايتها تحقيق المصلحة الأخروية بغض النظر عن المصالح الدنيوية كما هو شأن بعض الديانات والتحل المغالية في نزعتها الروحية .

ومراعاة هذه الاعتبارات كلها مستحيل أن يتحقق في تشريع بشري ، فإن مراعاتها لتحقيق العدل المطلق لبني الإنسان تحتاج إلى علم إله ، ورحمة إله ، وحكمة إله ؛ فالإنسان دائماً ينظر من زاوية ، ويفعل زوايا كثيرة .

أما الذي ينظر النظرة المحيطة بكل شيء ، وكل جانب ؛ فهو الخلاق العليم الحكيم الذي وسع كل شيء رحمةً وحكمةً وعلماً ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (1) « (2) .

ومن هذه النظرة الإسلامية الكلية في بناء شخصية الإنسان وتوازنه ، وتحقيق العدل له وتكامله ؛ قال علماء الاجتهاد والأصول : « إن مقاصد التشريع الإسلامي خمسة : حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ النسب ، وحفظ المال » .

وقالوا : « إن كل ما جاء في الشريعة من مبادئ وأحكام ، وأوامر ونواه ، وزواجر وعقوبات ؛ كلها تهدف إلى حفظ هذه المقاصد الخمسة .. » .

وهذا تأكيد جازم على أن الشريعة نزلت لتحقيق لبني الإنسان الخير العام ، والعدل المطلق في دينهم ودنياهم وآخرتهم .

فشعارها العام الذي لا يتبدل : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (3) .

(2) من كتاب « شريعة الإسلام » للدكتور القرضاوي ص : 20 .

(1) سورة الملك الآية : 14 .

(3) سورة الحجرات الآية : 13 .

ومبدؤها الثابت الذي لا يتغير : ﴿ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (1) .

هذه هي خصيصة الشريعة في تحقيقها العدل المطلق لكل من يعيش تحت ظل حكمه ونظامه ، فهل علم شباب الدعوة نظرة الإسلام في بناء الشخصية الإنسانية ، وتكوين المجتمع الفاضل !!؟

\*\*\*

تلكم - يا شباب الدعوة - أظهر ما في هذه الدعوة الإسلامية التي تحملون إلى الدنيا لواءها من خصائص ومزايا ، وإن دعوة تحمل في طياتها مزايا الربانية والعالمية والشمول ، وتحمل في أنظمتها خصائص العدل والتجدد والبساطة ، وتحمل في طبيعتها ظواهر الأصالة والهيمنة والثبات ؛ لهي دعوة تستحق البقاء ، وتستأهل الخلود ، وتضيء للدنيا أنوار الحق والحضارة والعرفان ، وترفع في سماء البشرية منارات الهدى والعلم والمدنية ، وتسطر في ضمير الزمن آيات المجد والقوة والعظمة والخلود .

وهي جديرة أن يحملها الدعوة إلى الدنيا يعرفونها ، ويدعون إليها ، وينشرونها في ربوع العالمين ، وآفاق المعمورة ، ومجاهل الأرض .

\*\*\*

ومما يؤكد صلاحية الدعوة الإسلامية ، واتصافها بالتجدد والعطاء ، وإيفائها بحاجات الأمم والشعوب ، ودفعها لعجلة التقدم الحضاري ، والإبداع المادي في كل زمان ومكان .

مما يؤكد هذا كله الشهادات التالية :

- 1 - شهادة الواقع العالمي .
- 2 - شهادة المؤتمرات الدولية .
- 3 - شهادة المنصفين من غير المسلمين في العالم .

\*\*\*

أما شهادة الواقع العالمي :

فإن النظريات القانونية التي يباهي بها العصر الحديث ، وتفتخر بها الفلسفات

القانونية قد سبقت بها الشريعة الإسلامية ، وأرست قواعدها ، وقام على ذلك فقهاها وتشريعها وقضاؤها قبل أربعة عشر قرناً .

من هذه النظريات : « نظرية المساواة » :

هذه النظرية جاءت بها الشريعة الإسلامية من وقت نزولها بنصوص صريحة تقرها وتفرضها فرضاً ، وبصفة مطلقة بلا قيود ولا استثناءات ، فلا امتياز فرد على فرد ، ولا جماعة على جماعة ، ولا جنس على جنس ، ولا لون على لون ، ولا لحاكم على محكوم .

والشعار في ذلك قوله تعالى في سورة الحجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ ۗ ﴾ (1) .

هذا على حين لم تعرف القوانين الوضعية هذه النظرية إلا في أواخر القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر ، وهي مع هذا تطبقها تطبيقاً محدوداً بالنسبة إلى الشريعة التي توسعت في تطبيق النظرية إلى أقصى حد .

● ومن هذه النظريات : « نظرية الحرية » :

هذه النظرية قررتها الشريعة في أروع صورها ، فقررت حرية التفكير ، وحرية الاعتقاد ، وحرية القول .

● ومن هذه النظريات : « نظرية الشورى » :

هذه النظرية نزل بها القرآن منذ عهده المكي ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (2) وأمدّها في المدينة بقوله : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (3) .

وقد سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية في تقريرها مبدأ الشورى بأحد عشر قرناً ، حيث لم تأخذ القوانين به إلا بعد الثورة الفرنسية ما عدا القانون الإنجليزي ، فقد عرف مبدأ الشورى في القرن السابع عشر ، وقانون الولايات المتحدة الذي أقر المبدأ بعد منتصف القرن الثامن عشر .

● ومن هذه النظريات : « نظرية تقييد سلطة الحاكم » :

هذه النظرية تقوم على ثلاثة مبادئ أساسية :

(1) سورة الحجرات الآية : 13 . (2) سورة الشورى الآية : 38 . (3) سورة آل عمران الآية : 159 .

أولها : وضع حدود لسلطة الحاكم .

ثانيها : مسؤوليته عن عدوانه وأخطائه .

ثالثها : تخويل الأمة حقّ عزله .

وقد جاءت هذه النظرية الإسلامية بهذه المبادئ الثلاثة في وقت كانت سلطة الحاكم في العالم كله سلطة مطلقة على المحكومين ، فكانت شريعة الإسلام أول شريعة تقيّد هذه السلطة ، وتلزم الحاكمين أن يتصرّفوا داخل حدود معيّنة ، وضمن دائرة خاصة ، ليس لهم أن يتجاوزوها .

● ومن ذلك : جملة نظريات في الإثبات والتعاقد :

مثل نظرية : إثبات الدّين بالكتابة صغيراً كان الدين أم كبيراً .

ومثل نظرية : حق الملتزم في إملاء العقد ؛ لأنه أضعف الطرفين المتعاقدين .

ومثل نظرية : تحريم الامتناع عن تحمّل الشهادات أو أدائها .

وهذه النظريات كلها بعض ما اشتملت عليه آية المدائنة المثبتة في أواخر سورة البقرة من أحكام ومبادئ وتوجيهات .

ومن التشريع على ما ذكرناه من نظريات :

أن كثيراً من الأحكام والنظريات التي قررتها الشريعة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وكانت في وقت ما موضع ارتياب أو اتهام من خصوم الشريعة لم تجد البشرية بدأً من اللجوء إليها ، والاعتراف بها ؛ تحقيقاً للعدل ، ورفقاً للضرر والظلم عن الأفراد والمجتمعات .

**وابرز مثل لذلك :**

أ - الطلاق : الذي اضطرت دول الغرب كافة إلى الاعتراف به ؛ فقد عقد في « لاهاي » سنة 1968 مؤتمر للقانون الدولي الخاص « الدورة الحادية عشرة » ، فكان مما تناوله البحث : إعداد معاهدة الاعتراف بالطلاق ، والتفريق القانوني على المستوى الدولي <sup>(1)</sup> ، وهذا معناه الرجوع إلى حكم الإسلام .

(1) انظر مدى الحاجة إلى « موسوعة الفقه الإسلامي » للدكتور جمال الدين عطية .



ب - الربا : الذي زعموا في وقت من الأوقات أن عجلة الحياة الاقتصادية لا تدور إلا به ، حتى قام من كبار الاقتصاديين في الغرب من ينقض فكرة الربا من أساسها باسم العلم والاقتصاد لا باسم الدين والإيمان ؛ ولعل أشهر اسم يذكر في هذا الصدد هو اسم الاقتصادي البريطاني « كينز » الذي قرر أن المجتمع لن يصل إلى العدالة الكاملة إلا بالقضاء على سعر الفائدة ؛ وكذلك الدكتور « شاخت » الألماني الذي يقول : « بعملية رياضية متناهية يتضح أن جميع المال صائر إلى عدد قليل من المرابين .. » (1) .

وهناك صحبات في أوروبا تبعث هنا وهناك :

صبيحات تطالب بإباحة تعدد الزوجات ، قالت « آني بيزانت » في كتابها « الأديان المنتشرة في الهند » : « متى وزنا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أن تعدد الزوجات في الإسلام أرجح وزناً من البغاء الغربي الذي يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة محض إشباع شهوته ، ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها وطره .. » .  
وقد قيل : إن ألمانيا أباحت نظام تعدد الزوجات ؛ حلاً لأزمة الأولاد غير الشرعيين ؛ وتسوية لمشكلة الاتصال الحرام عن طريق اتخاذ الخليلات ، كما ذكرت ذلك صحيفة الأهرام القاهرية .

وصبيحات تنادي بوضع حدٍّ للميوعة والانحلال ؛ ذكرت جريدة الأخبار القاهرية : « أن النساء السويديات خرجن في مظاهرة عامة شملت أنحاء السويد ؛ احتجاجاً على إطلاق الحريات الجنسية هنا وهناك ، وقد اشترك في هذه المظاهرات مائة ألف امرأة .. » .

وهذا معناه العودة إلى نظام الإسلام ، ومبادئ الشريعة ، وحكم القرآن .

وصدق الله العظيم القائل في سورة فصلت : ﴿ سَتُرِيهِمْ ءَابِتَاتٍ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

\*\*\*

(1) ارجع إلى الظلال ، المجلد الأول آية : ﴿ الذين يأكلون الربا .. ﴾ نجد البحث وافيًا إن شاء الله .

### لما شهادة المؤتمرات الدولية :

فحسبنا أن نذكر أشهر المؤتمرات الدولية التي عقدت في هذا القرن ، والتي شهدت أن شريعة الإسلام لهي الشريعة الحية الصالحة المتجددة الخالدة منذ أن أنزلها الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها :

أ - ففي مدينة « لاهاي » سنة 1937 انعقد مؤتمر دولي للقانون المقارن دعي إليه الأزهر الشريف ، فمثله فيه مندوبان من كبار العلماء حاضرا فيه عن « المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية » ، وعن « استقلال الفقه الإسلامي ، ونقي كل صلة مزعومة بين الشريعة الإسلامية ، والقانون الروماني » .

وقد سجل المؤتمر على أثر ذلك قراره التاريخي الهام ، بالنسبة إلى رجال التشريع الغربي وقد جاء فيه :

- 1 - اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .
- 2 - وإنها حية قابلة للتطور .
- 3 - وإنها شرع قائم بذاته ليس مأخوذاً من غيره <sup>(1)</sup> .

ب - وفي نفس المدينة « لاهاي » سنة 1948 انعقد مؤتمر المحامين الدولي الذي اشتركت فيه ( 53 ) دولة من جميع أنحاء العالم ، والذي ضمّ جمعا غفيرا من الأساتذة والمحامين اللامعين من مختلف الأمم والأقطار .

اتخذ هذا المؤتمر القرار التالي : « نظروا لما في التشريع الإسلامي من مرونة ، وما له من شأن هام ، يجب على جمعية المحامين الدولية ، أن تتبنى الدراسة المقارنة لهذا التشريع ، وتشجع عليها .. » <sup>(2)</sup> .

ج - وفي سنة 1950 عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجتمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمرا للبحث في الفقه الإسلامي في كلية الحقوق من جامعة « باريس » تحت اسم : « أسبوع الفقه الإسلامي » ، ودعت إليه عددا كبيرا من أساتذة كليات الحقوق العربية ، وغير العربية ، وكليات الأزهر الشريف ، ومن المحامين الفرنسيين

(1) من كتاب « التشريع الإسلامي » للأساتذة : السامس ، والسبكي ، والبريري ص 253 .

(2) انظر « المدخل الفقهي » للأستاذ العلامة مصطفى الزرقاء ص : 245 .

والعرب ، وغيرهم من المستشرقين ؛ وقد اشترك فيه أربعة من مصر من الأزهر والجامعات ، واثنان من سورية ، وقد دارت المحاضرات حول موضوعات فقهية خمسة ، عيّنتها المجمع الدولي قبل عام ، ووجهت دعوة المحاضرات فيها ، وهي :

- 1 - إثبات الملكية .
- 2 - الاستملاك للمصلحة العامة .
- 3 - المسؤولية الجنائية .
- 4 - تأثير المذاهب الاجتهادية بعضها في بعض .
- 5 - نظرية الربا في الإسلام .

وكانت المحاضرات كلها باللغة الفرنسية ، وخصص لكل موضوع يوم ، وعقب كل محاضرة كانت تفتح مناقشات مع المحاضر .

وفي خلال بعض المناقشات وقف أحد الأعضاء ، وهو نقيب سابق للمحامين في باريس فقال : « أنا لا أعرف كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي وعدم صلوحه أساساً تشريعياً يفى بحاجات المجتمع العصري المتطور ، وبين ما نسمعه الآن في المحاضرات ، ومناقشاتها ، مما يثبت خلاف ذلك تماماً يبراهين النصوص والمبادئ .. » .

وفي الختام وضع المؤتمرون بالإجماع هذا التقرير الذي نترجمه فيما يلي :

« بناءً على الفائدة المتحققة من المباحثات التي عرضت أثناء « أسبوع الفقه الإسلامي » ، وما جرى حولها من المناقشات التي نستنتج منها بوضوح :

- 1 - إن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها .
- 2 - إن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية - وهي مناط الإعجاب - وبها يتمكن الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة ، والتوفيق بين حاجاتها .. » <sup>(1)</sup> .

(1) ارجع إلى « المدخل الفقهي العام » في المقدمة للأستاذ الزرقاء نجد البحث وافياً .

وفي هذه الشهادات من المؤتمرات الدولية المتخصصة دليل قاطع على عظمة هذه الدعوة الإسلامية ، وتجديدها وعطائها ، وشمولها وخلودها على مدى الزمان والأيام .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ؟ (1)

\*\*\*

اما شهادة المنصفين في العالم (2) :

فإنها أعظم من أن تحصى ، وأكثر من أن تُستقصى ، هذه الشهادات ليست من رجال الأزهر ، وعلماء الإسلام ، وأساتذة الشريعة في الجامعات ؛ وإنما هي شهادات من كبار رجال القانون الوضعي الذين رضعوا من لبنانه ، وترعرعوا في رحابه ، وهي شهادات معللة تحمل في عباراتها براهين صدقها ، معترفة بفضل الشريعة وصلاحتها ، وسبقها وتفوقها .

ولا بأس أن نسوق هنا بعض شهادات هؤلاء المنصفين للذين لا يزالون يتقنون بالفكرة إذا هبت ريحها من جهة الغرب :

- يقول الدكتور « إيزكو انساباتو » : « إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوربية ، بل هي تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً » .

- ويقول العلامة « شيرل » عميد كلية الحقوق بجامعة « فينا » في مؤتمر الحقوق سنة 1927 : « إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ إليها ، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون - نحن الأوربيين - أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة » .

- ويقول الفيلسوف الإنكليزي « برناردشو » : « لقد كان دين محمد ﷺ موضع تقدير سام ، لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة ، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، وأرى واجباً أن يدعى محمد ﷺ منقذ الإنسانية ، وإن رجلاً كشاكلته إذا تولّى زعامة العالم الحديث لنجح في حلّ مشكلاته .. » .

(1) سورة المائدة الآية : 50 .

(2) هذه الشهادات منقولة بالتمام من كتاب « حتى يعلم الشباب » للمؤلف ص : 56 - 58 .

- ويقول المؤرخ الإنكليزي « ويلز » في كتابه « ملامح تاريخ الإنسانية » : « إن أوروبا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية .. » .

- ويقول المؤرخ الفرنسي « سيديو » : « إن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهي في مذهب مالك هو شرح الدردير على متن خليل » .

- ونقل « غوستاف لوبون » عن الأستاذ « لييري » قوله : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدّة قرون » .

- ويقول « لين بول » في كتابه « العرب في أسبانيا » : « فكانت أوروبا الأمية تزخر بالجهل والحرمان ، بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم ، وراية الثقافة في العالم » .

- ويقول « آدموند بيرك » : « إن القانون المحمدي قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقلّ رعاياه ، وهذا القانون نسج بأحكام نظام حقوقي ، وشريعة الإسلام هي أعظم تشريع عادل لم يسبق قط للعالم إيجاد نظام مثله ، ولا يمكن فيما بعد .. » .

- وسبق أن ذكرنا ما قاله القانوني الكبير « فمبيري » : « إن فقه الإسلام واسع إلى درجة أنني أعجب كل العجب كلما فكّرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لزمانكم وبلادكم .. » .

فهذه الأقوال وأقوال كثيرة غيرها تشهد بجلاء ووضوح على ما انطوت عليه الدعوة الإسلامية من ثروة قانونية وتشريعية ، وقوة دفع علمية وحضارية .

والفضل كل الفضل هو ما اعترف به المنصفون ، وما أقرّ به المختصون من نبغاء العالم ومفكره .

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

\*\*\*

والمسلمون الأوائل من الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان ، حين علموا طبيعة الدعوة ، ومهمة الداعية ، ومسؤولية المجاهد في سبيل الله ، وحين علموا أن الإسلام دين ودولة ، وعبادة وسياسة ، ومصحف وسيف ، ونظام حكم ، ومنهج حياة ، وحين تأصلت هذه المعاني في نفوسهم ، وعرفوا في هذا الكون مسؤوليتهم ورسالتهم ، خرجوا من محيطهم الضيق ، وبيعتهم المحدودة ،

إلى أرجاء الأرض ، وآفاق الدنيا ، يمدنون الأمم ، ويكرّمون الإنسان ، ويرفعون لواء التوحيد ، ويؤسسون في العالمين قواعد المدنية والحضارة ، وينشرون في الوجود أضواء العلم والمعرفة ، ويسطرون على جبين الزمن مبادئ الحرية والعدالة والمساواة . انطلقوا ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

● ولم ينتقل عليه الصلاة والسلام إلى الملاء الأعلى حتى انتشر الإسلام في الجزيرة العربية ، ودخل اليمن والبحرين ، ووصل إلى تهامة ونجد .

● وفي عهد الخلفاء الراشدين أخضع المسلمون المملكتين العظيمتين : فارس والروم ، وامتدّ ظلّهم إلى بلاد السند شرقاً ، وإلى بلاد الخزر وأرمينية ، وبلاد الروس شمالاً ، ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس ، وبقية أفريقية ، وذلك كلّه في خمس وثلاثين سنة .

● وفي عهد بني أمية استبحر ملكهم ، وامتدّ سلطانهم إلى أن دخلوا بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، ووصلوا إلى حدود الصين شرقاً ، ودخلوا بلاد الأندلس في أوروبا غرباً .

● وفي عهد بني العباس استطاع الخليفة « هارون الرشيد » أن يصوّر للعالم بسطة الدعوة الإسلامية الممتدة شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ؛ فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمرّ به ولا تمطره ، فيقول لها بلسان المطمئن : « أمطري حيث شئت فإن خراجك سيحمل إلينا » !!

**أما ما تركته الدعوة من أثر في بناء الحضارة الإنسانية :**

فإن التاريخ يشهد ، والمنصفين من فلاسفة الغرب يشهدون أن المسلمين على اختلاف أجناسهم وبيئاتهم ، وتباين لغاتهم وألوانهم في العصور الإسلامية الزاهية خلّفوا في العالم آثاراً حضارية شاملة خالدة ، ما زالت الأجيال الإنسانية في كل زمان ومكان تنهل من معينها ، وترتشف من سلسيلها !!

والمؤرخون مُجمعون على أن انتقال الحضارة الإسلامية إلى الغرب كان عن طريق المعابر التالية :

- أ - معبر الأندلس .  
 ب - معبر صقلية .  
 ج - معبر الحروب الصليبية .  
 د - معبر مدارس الترجمة في شمال إسبانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا .  
 هـ - معبر تجار المسلمين والدعاة الذين نشروا الإسلام في كثير من البلدان الأوروبية ، والأفريقية ، والآسيوية ، وغيرها .  
 ولا شك أن الأندلس هي المعبر الرئيسي لحضارة الإسلام في شتى المجالات العلمية والفنية والأدبية .

وبقيت أوروبا - بعد عبور الحضارة الإسلامية إليها - قرونًا طويلة ترتشف من معين الحضارة الإسلامية ، وتنهل من سلسيل علومها ومعارفها ؛ حتى استطاعت في أمد قصير أن تصل إلى قمة الحضارة المادية ، وأن تصعد إلى ذرى العلوم الكونية في العصر الحديث .

ويشهد على هذا كبار الغربيين المختصين في علم الطب ، والكيمياء ، والطبيعات ، والرياضيات والفلسفة ، وسائر العلوم الأخرى :

● كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » للدكتورة « زيفريد هونكة » إقرار صريح بالقفزة الحضارية الكبرى التي قفزتها أوروبا نتيجة التأثير بالحضارة الإسلامية وعلومها في شتى المجالات .

● وقال « دوير » المدرس في جامعة « نيويورك » في كتابه « المنازعة بين العلم والدين » : « ولما آلت الخلافة إلى المأمون سنة ( 813 ) م ، صارت بغداد العاصمة العلمية العظمى في الأرض ؛ فجمع الخليفة إليها كتبًا لا تحصى ، وقرب إليه العلماء ، وبالغ في الحفاوة بهم . وقد كانت جامعات المسلمين مفتوحة للطلبة الأوروبيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم ، وكان ملوك أوروبا وأمراؤها يغدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها .. » .

● وقال « سيديلوت » في كتابه « تاريخ العرب » : « كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أوروبا ؛ فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها .. » .

● وقال « شريستي » في حديثه عن الفن الإسلامي : « ظلت أوروبا نحو ألف عام تنظر إلى الفن الإسلامي كأنه أعجوبة من الأعاجيب » .

● وقال « بريفولت » في كتابه « تكوين الإنسانية » : « العلم هو أعظم ما قدمت الحضارة الإسلامية إلى العالم الحديث ، ومع أنه لا توجد ناحية واحدة من نواحي النمو الأوروبي إلا ويلحظ فيها أثر الثقافة الإسلامية النافذ ... وهذه الحقائق مؤداها أن الإسلام بناء حضاري .. » .

إن هذه الأقوال وأقوالاً كثيرة غيرها تبين بصدق ، وتشهد بحق على ما انطوى عليه الإسلام من قوة دفع علمية وحضارية على مدى العصور !!

ولولا أن يكون الإسلام العظيم منهاج علم ، وهذا القرآن الكريم مبعث حضارة ، وهذا الدين الخالد مفتاح نهضة ؛ لما أشاد هؤلاء المنصفون الغربيون بعظمة الحضارة الإسلامية ، ولما كشفوا عن هذه الحقائق في طبيعة دعوة الإسلام .

ولما سمعنا في التاريخ أيضًا عن جدود عباقره ، وآباء علماء نبغاء ؛ ملؤوا الدنيا معارف وعلومًا ، ونشروا في العالم نور المدنية ، ومعالم الحضارة .

وما زالت أسماء هؤلاء العباقره الأفاضل تتردد على ألسنة الشرق والغرب عبر القرون .

وما زالت الأجيال الصاعدة تتغنى بعلومهم ، وتفتخر بنبوغهم ، وتتناقل آثارهم

الحضارية على مدى الزمان والأيام !!

وأذكر على سبيل المثال بعض أولئك العباقره الأفاضل واختصاصاتهم العلمية ؛ ليعرف شباب الدعوة كيف شاد أولئك بنيان الحضارة ؟ وكيف حولوا مجرى التاريخ ؟ :

- ابن خلدون الذي حمل إلى الإنسانية لواء التاريخ ، وعلم الاجتماع والعمران .

- وأبو زكريا الرازي الذي حمل إلى الإنسانية لواء الطب .

- وأبو علي بن سينا الذي حمل إلى الإنسانية لواء الفلسفة .



- والشريف الإدريسي الذي حمل لواء الجغرافية .
- وأبو بكر الخوارزمي الذي حمل لواء الرياضيات والفلك .
- وعلي بن الهيثم الذي حمل لواء علم الطبيعة والبصريات .
- وأبو القاسم الزهراوي الذي حمل لواء الجراحة .
- وأبو زكريا العوام الذي حمل لواء علم النبات .
- وأبو الريحان البيروني الذي حمل لواء علم التاريخ القديم والآثار .
- وأبو البناء الذي حمل لواء الحساب .
- والإمام الغزالي الذي حمل لواء النقد ، والتربية ، ومعالجة آفات النفوس .
- والأئمة : أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وابن تيمية ... الذين حملوا ألوية الفقه والقانون .

وآلاف غيرهم نقرأ في التاريخ أخبارهم ، وتنقل الأجيال آثارهم ، ويشي المستغربون والمستشرقون على عظمة تراثهم وعلومهم ؛ فكانت هذه الآثار التي خلفوها على مدى التاريخ منارات هدى ، وهذه الحضارة التي خلّدها على مدى الزمان إشعاعات عرفان ومدنية !!

أولئك أبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجمع

\*\*\*

فعلى شباب الدعوة أن يعلموا :

- إذا كانت الدعوة الإسلامية هي خاتمة الدعوات .
- وإذا كانت في طبيعتها عالمية عامة .
- وإذا كانت ذات خصائص ومزايا في شمولها وربانيتها وخلودها .
- وإذا شهد لصلاحيتها وتجدها وعطائها الواقع العالمي ، والمؤتمرات الدولية ، والمنصفون في العالم .
- وإذا كان التاريخ على مدى العصور أثبت جدارة هذه الدعوة ، وأثرها على العلم

والحضارة .

فإذا كانت الدعوة الإسلامية تحمل في طياتها هذه المعاني مكتملة مجتمعة ، فما على الدعوة إلى الله ، وشباب الإسلام اليوم إلا أن يحملوها إلى الدنيا من جديد .

من أجل ماذا ؟

من أجل ردّ البشرية إلى المنهج الرباني ، والدين المعطاء .

من أجل إنقاذ العالم من المادية الطاغية ، والإباحية الفاجرة .

من أجل إظهار هذا الدين على الدين كله .

من أجل مواجهة التحدي الحضاري الحديث في جميع مجالاته ؛ لإقرار ما ينسجم مع الإسلام ، ونبذ ما يتنافى معه .

من أجل الوقوف مع الحق لنصرة المظلومين والمستضعفين - أينما وجدوا -  
والأخذ بأيديهم ، ورفع الظلم عنهم .

وكم يسرّ الدعوة الإسلامية أن تجد من جنودها ودعاتها ، شبابًا مؤمنًا ظاهرًا واعميًا مندفعًا ، حملوا إلى الدنيا رسالة الإسلام ، وانطلقوا في ميادين الدعوة إلى الله ؛  
يلبغون رسالات الله ، ويخشونه ، ولا يخشون أحدًا إلا الله !!؟

وها أنا ذا ألمح بعين الأمل والتفاؤل طلائع الإسلام من شباب الدعوة ، ترحف في الأفق ، وتنساب في المغاور ، وتمخر عباب البحار ، وتطير في الأجواء ؛ لتحمل إلى العالم من جديد دعوة الإسلام الرائدة ، ومشعل الهداية الربانية الباقية . وإن شاء الله فلن يمر بضع سنوات حتى نرى بأمّ أعيننا حضارة الإسلام قد بزغت ، ودولة المسلمين قد قامت ، وتعاليم القرآن قد ظهرت على المبادئ البشرية كلّها .

وما ذلك على الله بعزيز إنه نعم المولى ونعم النصير .

\*\*\*

سلسلة  
مَدَائِمُ الدَّعْوَةِ  
فصول هادفة في فقير الدعوة والتدعية  
(2)

# الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ .. وَالْإِنْفِصَالُ الْعَالَمِيُّ ..

عبدالله ناصح علوان  
أستاذ الدراسات الإسلامية  
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

دار السلام  
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين ، وعلى دعاة الحق ، وقادة الخير بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فهذا هو الفصل الثاني من سلسلة « مدرسة الدعوة » ، وهو بعنوان :  
« الدعوة الإسلامية : والإنقاذ العالمي » .

أقدمه لكم - إخوتي الدعوة - عسى أن تندفعوا إلى تبليغ الدعوة عن صدق  
وعزيمة وإخلاص .. والله يقول الحق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

المؤلف

عبد الله ناصح علوان



## الفصل الثاني

### الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمي

بعد أن آمن الداعية من قرارة وجدانه أن دعوة الإسلام تحمل في طياتها مزايا الربانية والعالمية والشمول وخصائص العدل والتجدد والبساطة وظواهر الأصالة والهيمنة والثبات ..

وبعد أن عرف أنها الرسالة الرائدة الجديرة بأن يحملها المسلمون إلى الدنيا ، وأن يدللوا بها وجه الأرض ، وأن يغيروا بإعجاز مبادئها مجرى التاريخ .. وجب على الداعية أن يعرف أيضًا حال الحضارة المادية في القرن العشرين ، وحال الذين لفحهم سعيها ، وكواهم لهيها ، وحال الإنسانية المعذبة التي بعدت عن الله ، وتخبطت في أوحال الانحلال والإباحية ، وتعثرت في دياجير الأفكار والفلسفات والمبادئ ، وتمزقت في صراع الحروب والأهواء والمطامع ، فإذا عرف الداعية كل هذا أدرك جيدًا مدى مهمته ، وضخامة مسؤوليته في إصلاح الشعوب ، وهداية الأمم ..

لذا رأيت لزامًا عليّ في هذا الفصل أن أسلط الأضواء على أوضاع البشرية بشكل عام ، وأوضاع المسلمين بشكل خاص ، عسى أن تنجلي الحقائق لكل ذي عينين وبصيرة ، فيرى البون شاسعًا ، والفرق كبيرًا بين دعوة الرحمن ، ودعوة الإنسان ، أو بعبارة أوضح : يجد التفاوت الكبير بين من يدعو إلى الجنة وبين من يدعو إلى النار .. وصدق الله العظيم القائل : ﴿ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (1) .

وعسى أن يندفع المسلمون في مجال الدعوة ، وفي ميدان التبليغ ، وفي سلوك طريق الإصلاح والتغيير ؛ ليردوا البشرية إلى الله ، وينعم العالم بنعمة الإسلام ، ويتحقق الأمن والسلام والاستقرار في ربوع الأرض ، وأفاق المعمورة ، وما ذلك على الله بعزيز .

\*\*\*

## أرقام وحقائق عن أوضاع البشرية

واليك - أخي الداعية - بعض الإحصاءات والأرقام والحقائق عن نتائج الحضارة المادية التي اكتوت الأمم بناها ، وضلت البشرية بسببها ؛ لتعرف كيف أن هذه النتائج المذهلة تكثر وتزداد بشكل مؤلم مخيف في المجتمعات الجاهلية الغارقة في فسادها وانحلالها ، وكيف أنها تنتقل تدريجيًا - وبالأسف - إلى المجتمعات الإسلامية التي تنتمي إلى الإسلام دوغما تعقل ولا تحفظ ولا اتزان .. إلا من رحم ربك .

قد جاء في كتاب « خطر التبرج والاختلاط » للأستاذ « عبد الباقي رمضون » ما يلي :

### ففي فرنسا :

لا تزال تهبط نسبة المواليد فيها منذ ستين عامًا متوالية .

ومن أوائل القرن العشرين لا يزال حكام الجيش الفرنسي يخفضون من مستوى القوة والصحة البدنية المطلوبة في المتطوعين للجندي الفرنسي على فترة بضع سنين .

وإن عدد المصابين الذين اضطرت الجيش الفرنسي أن يعفيهم من العمل ويعينهم إلى المستشفيات في السنتين الأوليين من سني الحرب العالمية الأولى ؛ لكونهم مصابين بمرض الزهري - وهو مرض جنسي خطير - بلغ خمسة وسبعين ألفًا ، وابتلي بهذا المرض وحده 242 جنديًا في آن واحد في ثكنة متوسطة واحدة من ثكنات الجيش .

ويقول الدكتور « ليريد » الفرنسي : « إنه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بأمراض الزهري كل عام » .

ولقد اعترف المؤرخون بأن السبب الرئيسي في سقوط « باريس » عاصمة فرنسا ، واستسلام الجيش الفرنسي أمام جيش الألمان خلال أسبوعين هو الانغماس في الشهوات ، والانكباب على الملذات ، والخوف على مراقص ومواخير باريس من قنابل الألمان مع أن خط « ماجينو » الدفاعي الذي أنشأته فرنسا لحمايتها كان أحصن وأشد ما عرف في التحصينات الحربية في ذلك الحين .

### وفي أمريكا :

يموت ما بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهري الموروث وحده في كل عام .

ويقول القاضي « لندس » : إنه يسقط فيها مليون حمل على الأقل في كل سنة



ويقتل آلاف الأطفال من فور ولادتهم .

وفيها تبلغ نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في إحدى المدن 48 بالمئة ، كما دلت الإحصائيات عن مدينة « نفز » عاصمة « كولورادو » .

وفيها تبلغ نسبة البيوت والأسر المحطمة بالطلاق نسبة عجيبة ، حيث تقفز النسبة بين فترة وفترة كلما ازداد الاختلاط ، وتفشت الإباحية ، وهذه النسبة المخيفة تمضي في هذه السرعة المطردة حسب إحصائية أمريكية صدرت سنة 1950 م .

### تقول الإحصائية :

نسبة الطلاق	6%	عام 1890 م
نسبة الطلاق	10%	عام 1900 م
نسبة الطلاق	10%	عام 1910 م
نسبة الطلاق	14%	عام 1920 م
نسبة الطلاق	14%	عام 1930 م
نسبة الطلاق	20%	عام 1940 م
نسبة الطلاق	30%	عام 1946 م
نسبة الطلاق	40%	عام 1948 م

والزيادة في أطراد في كل عام ، مما ينذر بتشتيت الأسرة ، وتشريد الأولاد وتصعيد الانحراف ..

وفيها أيضاً صدرت التعليمات إلى جميع مدارس « نيويورك » بإنشاء غرفة ولادة في كل مدرسة ، على أن يُدرب اثنان من موظفي المدرسة على أعمال التوليد إلى أن يتم استدعاء الطبيب المختص ، وقد صدرت تلك التعليمات من المجلس الصحي للمدينة بناء على طلب مجلس التعليم الذي يرى تشجيع الطالبات الحوامل على الاستمرار في الدراسة بدلاً من فصلهن من المدرسة .

وقال المجلس : « إن عدد الطالبات الحوامل دون زواج في مدارس « نيويورك » وحدها بلغ 2487 حاملاً في عام 1969 م » .

ودلت الإحصائيات الحديثة أن ربع طالبات المدارس الثانوية حبالى وأن البكارة مفقودة ألبتة .  
وفيها أيضًا : نصف نساءها وخمس رجالها يخشون الخروج وحدهم ليلاً ،  
وتقتني ثلث العائلات الأمريكية بندق في بيوتها ، بينما يحاول أكثر سكان المدن  
الرحيل بعيدًا إلى الريف هربًا من كابوس جرائم المدن المخيف ..

ففي عام 1968 م وقعت 4,5 مليون جريمة كبرى في الولايات المتحدة ، وجرائم القتل  
فيها تزيد 48 مرة عن مثيلاتها في بريطانيا وألمانيا واليابان معًا ، فالعنف أصبح حقيقة  
أساسية موجودة في المجتمع الأمريكي ، والأمريكيون يعيشون في رعب الجريمة كل يوم ..  
في صورة سفاح الممرضات في « شيكاغو » ، وسفاح « برج الجامعة » في « بوسطن » ،  
وجندي المرور الذي اغتصب 23 فتاة خلال ثلاثة أشهر . وجاء في كتاب أساليب الغزو  
الفكري للأستاذ علي جريشة ص 226 : « يقع في أمريكا أربعة ملايين ونصف مليون  
جريمة خطيرة تقع كل عام : جريمة قتل كل 29 دقيقة ، جريمة اغتصاب (زنى بالإكراه)  
كل 17 دقيقة ، جريمة اغتصاب مال كل دقيقتين ، جريمة سرقة كل 17 ثانية .. » .

وقرر « كنيدي » في تصريحه الخطير سنة 1962 م أن مستقبل أمريكا في خطر ؛  
لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات ، لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ،  
وأنة من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن  
الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية ..

وفي أمريكا في الأربعينيات ، عدد مدمني الخمر سنويًا « 42,1 » مليون .

الذين يتعاطون المخدرات سنة 1975 م 19 % من الشعب الأمريكي .

الذين يتعاطون المخدرات سنة 1978 م 49 % من الشعب الأمريكي .

عدد المرضى في مستشفيات الأمراض العقلية في الولايات المتحدة ( 750 ) ألفًا  
ويشغلون 55 % من جميع أسرة المستشفيات .

عدد من أعفتهم القوات المسلحة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية لاضطرابات  
نفسية وعقلية 47 % من المجموع الذي يساوي ( 980 ) ألفًا <sup>(1)</sup> .

وعدد من رفضوا الامتحانات لاختبار الخدمة العسكرية ( 860 ) ألفًا <sup>(2)</sup> .

## وفي روسيا :

صرح « خروشوف » سنة 1962 م - كما صرح كنيدي في نفس العام - بأن مستقبل روسيا في خطر ، وأن ضباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها ؛ لأنه منحل ومائع غارق في الشهوات .

وفي روسيا وألمانيا شعار تتناقله الألسن وهو : « عار على البنت الروسية والألمانية أن تبقى بكرًا ، وأدوات منع الحمل موجودة في كل طريق ... » .

« ... وفي الشرق الشيوعي كبت للحريات ، وكم للأفواه ، وإحصاء للأنفاس ، وأجهزة مراقبة على البيوت .. وشقاء الإنسان بين فكي الجوع والإرهاب .. »

وفي الشرق الشيوعي انهيار للاقتصاد ، وفقد للأقوات .. فبعد قرارات لينين سنة 1917 م حصل التدهور الاقتصادي الكبير ؛ حيث انهار الإنتاج إلى 20 % مما كان عليه ، وأما العملة فقد وصلت إلى 1 % من قيمتها التي كانت عليها قبل الثورة ، والاتحاد السوفيتي يستورد من أمريكا سنويًا ( 15,8 ) مليون طن من القمح .. وفي رومانيا كان العجز في الميزانية سنة 1967 م ( 215 ) مليون جنيه استرليني .. وكان من نتيجة الاستفتاء الذي أجراه « دوتشك » سكرتير الحزب الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا أن 90 % من الشعب يجذبون إبعاد الحزب الشيوعي عن الحكم ؛ لأن الحزب - في نظرهم - أناني ، جبان ، وأصحابه ذوا ضمائر ميتة ..

وفي الشرق الشيوعي هجرة للأدمغة ، وهرب للعقول الذكية .. رغم الستار الحديدي المضروب على الناس ، وحرمان الفرد من نعمة الحرية حتى من جواز السفر .

وفي الشرق الشيوعي شقاء قاتل يعانيه العمال وجميع الطبقات ما عدا سدنة الحزب الشيوعي ، وكبار قادتهم الذين يستأثرون بالسلطة وبالمال ، وأبناء الأمة محرومون من الحياة البسيطة العادية ذات الكرامة والعدالة ..

وهذا مما حدا بشعب الشقاء وأمة الضياع في المجتمعات الشيوعية أن تتجه إلى الكحول ، وإلى المخدرات بنهم عجيب لم يشهد التاريخ له مثيلاً من قبل .. وذلك تسرية لأحزانهم ، ونسياناً لهمومهم وشقائهم .. <sup>(1)</sup>

(1) من كتاب « الإسلام ومستقبل البشرية » للدكتور عبد الله عزام ص : 24 .

**وفي السويد :**

انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين إلى غير المتزوجين ، وارتفاع مستمر في عدد المواليد غير الشرعيين مع ملاحظة أن 20 % من البالغين من الأولاد البنات لا يتزوجون أبدًا .

إن نسبة الطلاق في السويد هي أكبر نسبة في العالم كله ، وأنه يحدث حادثة طلاق واحدة من بين ست أو سبع زيجات ، طبقًا للإحصائيات التي أعدتها وزارة الشؤون الاجتماعية في السويد .

إن نسبة المرضى عقليًا وعصبيًا ونفسيًا 25 % من سكان السويد ، وتنفق الدولة 30 % من ميزانيتها لعلاجهم .

وإن نسبة الموظفين الذين يخرجون من وظائفهم بسبب هذه الأمراض يساوي 50 % من مجموع المخرجين بشكل عام ..

**وفي إيطاليا :**

أثبتت الإحصائيات أن 75 % من الشعب الإيطالي يفضلون قراءة مجلات الجنس والفكاهة أكثر من اهتمامهم بالصحف السياسية ، والمجلات الاجتماعية الإصلاحية .. وأكدت الإحصائيات أيضًا أن مؤسسات نشر الكتب والمجلات الجنسية العارية تعتبر أضخم المؤسسات في إيطاليا .

**وفي المجر :**

أعلن البروفسور المجري : أن عدد حالات الإجهاض التي تحدث في العالم أصبحت تبلغ ( 30 ) مليون حالة سنويًا ، أي ما يعادل حالة إجهاض واحدة كل ثانية ، وأشار إلى أن عدد عمليات الإجهاض في بعض الدول يفوق عدد حالات الوضع ، ومن بين هذه الدول : ألمانيا ، والنمسا ، وبلجيكا ..

**وفي إنكلترا :**

نشرت جريدة « التايمز » اللندنية تقارير طبية ، وصرحات رسمية وخاصة عديدة بشأن الإجهاض وخطره ، منها :

وقفت « الجمعية الطبية البريطانية » مذهولة إزاء أرقام الإجهاض الملمحوظة في

الربع الأول من سنة 1971 م ( أي خلال 90 يوماً فقط ) ، والبالغة ( 22808 ) حادثة ، وردت حسب العمر على الشكل التالي ..

عدد الحوادث	السن
533	أقل من 16
4023	16 - 19
13873	20 - 34
3786	35 - 44
114	45 فما فوق
217	بدون تحديد

هذا وقد علقت الجمعية الطبية المذكورة على العدد الإجمالي لحوادث الإجهاض لعام 1971 البالغ ( 80723 ) حادثة قائلة : إن الزيادة في عدد حوادث الإجهاض في الوقت الحالي تحتم علينا المطالبة بوضع حد حازم وفعال للإجهاض ، خاصة وأن الأرقام في زيادة مستمرة ...

#### وفي الدانيمرك :

قامت مظاهرة نسائية ضخمة في شوارع عاصمتها ( كوبنهاجن ) سنة 1970 م تناقلتها بعض وكالات الأنباء على أمواج الأثير ، ونشرتها أكثر صحف العالم - منها مجلة الأسبوع العربي - اشترك في المظاهرة عدد كبير من الفتيات ، والصبيات ، وطالبات الجامعة .. وكن يرددن الهتافات المكتوبة على اللافتات المحمولة أثناء المظاهرة :

نرفض أن نكون أشياء ..

نرفض أن نكون سلعة لتجار الإباحية ..

سعادتنا لا تكون إلا في المطبخ ..

نريد أن تبقى المرأة في البيت ..

أعيدوا لنا أنوثتنا ..

إننا نرفض الإباحية ..

وحكومة الدانيمرك اعتبرت هذه المظاهرة النسائية انتفاضة جديدة من نوعها في سبيل الأنوثة ، واعتبرتها قضية عامة لها أهميتها<sup>(1)</sup> .

**وفي الشرق والغرب عامة<sup>(2)</sup> :**

● أفواج الهيب والخنفس والبوب : شباب فارغ روحيًا وخلقيًا وفكريًا ، أهملته الحضارة المادية ، فلم تملأ فراغه ، فراح يملؤه بالعبث واللهو والمجون والإباحية .. فغدا يتخلق ويتصرف حسب الأهواء ، مرة يلبس القصير الضيق ، وأخرى الطويل الفضفاض ؛ ومرة يطيل شعره حتى يبلغ ظهره ، وأخرى يحلقه من أصله ، مرة يحاكي الحشرات ، وأخرى يقلد الحيوانات ... إلى غير ذلك من هذه المتناقضات التي تشمل كل التصرفات سواء أكانت فكرية أو سلوكية أو نفسية ..

● الاستغراق في حياة الجنس والميوعة : حتى صار الجنس وعملياته شيئًا يرافق الفرد الغربي أو الشرقي .. أينما وجد ، وحيثما حل وارتحل ، وفي جميع جوانب حياته .. حتى غدا شيئًا مألوفًا وعاديًا ومتعارفًا عليه دون تفریق بين خير وشر ، أو فضيلة ورذيلة ، أو حلال وحرام ..

ففي مسرحية « هير » ظهر فيها الممثلون عراة تمامًا على خشبة المسرح ..

وفي نيويورك ظهرت مسرحية « تشي غيفارا » ، وقف فيها الممثلون ليمارسوا عملية الشذوذ الجنسي ( اللواط ) أمام أعين المتفرجين .

وفي نيويورك أيضًا ظهرت مسرحية « أوه كالكوتا » تحتوى على عشر شخصيات : خمسة رجال وخمس نساء .. وقفوا جميعًا ليقوموا بعملية العلاقة الجنسية علانية أمام الجمهور بلا حياء ولا خجل ..

وفي فرنسا جزيرة ملقبة بجزيرة العرايا ، يتعري من يأتي إليها من كل فضيلة وشرف .. ويخوض من يريد مفاستها حياة الرذيلة والفاحشة ..

(1) ارجع إلى كتاب « خطر التبرج والاختلاط » للأستاذ عبد الباقي رمزون ص : 137 - 149 .

(2) المرجع نفسه .

وفي أوروبا : 75 % من الأزواج يخونون زوجاتهم ، وأن نسبة أقل من المتزوجات يفعلن الشيء ذاته ..

أما العلاقات قبل الزواج في أوروبا فإن 85 % من الرجال البالغين لهم خليلات ، وإن لكل واحد منهم خليلة واحدة فقط ؛ وإن ما بقي من أفراد المجتمع من غير المتزوجين والذين ليس لهم خليلاتهم من الزناة فإنهم يتنقلون من امرأة لأخرى إشباعاً لغرائزهم ..

● انتشار المفاسد الاجتماعية والأمراض النفسية : ويمكن تلخيص هذه المفاسد والأمراض في النقاط التالية :

- 1 - الولوج في المشروبات الكحولية .
- 2 - الإدمان على المخدرات .
- 3 - الأمراض العصبية والعقلية .
- 4 - التمرد وعدم الانتماء إلى الحضارة والقيم ..
- 5 - الجرائم في شتى صورها وأشكالها .
- 6 - السعار الجنسي وأمراض النفس .
- 7 - الانتحار .

ويقع هذا كله بنسبة كبيرة في المجتمعات الغربية والشرقية ؛ نتيجة بُعد هذه المجتمعات عن الله ، وعدم مقدرة الكنيسة على القيام بوظيفتها في إصلاح الفرد ، وتهذيب الأمة ..

وعموماً فإن الحياة المادية المحضة هي التي تسود الشرق والغرب ، وأصبح هدف الإنسان الوحيد هناك هو تأمين المال ، والخمرة ، واللذة ، دون أي اهتمام بالقيم الإنسانية ، والكرامة الآدمية ، ودون أي استسلام للحقائق العلمية ، والنظريات الإصلاحية ، والاكتشافات الطبية ، والآراء التربوية ، والمبادئ الخلقية .. فسادت الأنانيات ، وتفشت الأوبئة ، وكثرت الجرائم ، وانتشرت المفاسد ، وديست القيم ، وأصبح الإنسان عدواً لأخيه الإنسان ، بل أصبح يسير في الحياة دونما غاية شريفة ، ولا هدف نبيل ، لا هم له إلا إشباع غرائزه ، والاسترسال في الخمر والمفاسد ، والولوج في الإباحية والمجون ..

ففي تلك المجتمعات البعيدة عن منهج الله تجدد :

الشباب الشارد السادر .. والخمور في الحشيش والخمر والمخدرات ..  
الجيل المتحلل المائع المريض جسميًا وعقليًا ونفسيًا ..  
عصابات القتل والخطف والاعتصاب الجنسي ..  
عصابات تهريب المخدرات : الأفيون ، والحشيش ، وغيرهما .  
تجار الشهوات والغرائب وبيع الفتيات ، وتأجير البغايا .  
عصابات من الأطباء والمحامين ورجال القانون ؛ لتغطية الجرائم ، وهضم الحقوق  
لقاء الرشوة المالية والجنسية ..  
نوادي العراة يتعري فيها روادها من كل رداء أخلاقي دون أي حياء ..  
أفواج العاهرات والمومسات يحترفن الزنى لكسب الكفاف .  
الأغاني الفاحشة ، والموسيقى المثيرة ، والتمثيلات المهيجة .  
كتب الجنس ، وأفلام الجنس ، ومجلات الجنس .. ، ومسارح الرقص والمجون ..  
أفواج « الهيبين » المتشبهين بالحيوانات والحشرات ..  
أفواج « البوب » الغارقين في السكر والزنى والفحش .  
إباحيون مستهترون يكفرون بكل فضيلة ، ويبيحون كل رذيلة ، ويسيروا مع  
الهوى والأهواء .. (1) .

\*\*\*

(1) من كتاب « خطر التبرج والاختلاط » للأستاذ عبد الباقي رمزون ص 147 .



### ثم ماذا عن الفكر الإباحي في الغرب ؟

إن المتتبع لما يكتبه رواد الإباحية من الوجوديين اللاأخلاقيين في عالم الغرب يجد العجب العجيب فيما ينفثه فكرهم لقتل كرامة الإنسان ، وفيما تزفر به أقلامهم المأجورة في تحطيم كيان المجتمع .. وهؤلاء كثيرون كأمثال « كامي » و « أرثر ميللر » ، و « سلاكرو » ، و « سارتر » ، و « نيتشه » ، و « كيركجارد » ... فهؤلاء وكثير غيرهم حملوا في العالم لواء الفكر الإباحي ، ودعوا أبناء المجتمعات الإنسانية إلى أن يتحرروا من سلطان الدين ، ووازع الأخلاق ، وفضائل العادات .. وأن يطلقوا لأنفسهم هواها في الأخذ بمتع الحياة ، والانخراط من متاهات اللذة والفجور ، وعلى الأغلب إن لم يكونوا يهوداً فإنهم رضعوا مبادئ الماسونية ، وتشبعوا بالأفكار اليهودية في هدم المجتمعات .. ثم انطلقوا بعد الفطام ، والتخرج من محافلهم إلى عالم الفكر والأدب والمسرح .. ليفسدوا الأمم بفلسفتهم ، ويحطموا المجتمعات ببغيهم وفجورهم ، ويسوقوا الشباب والشابات إلى حظائر الإلحاد والميوعة والإباحية .. ولا بأس أن أنقل لك - أخي الداعية ، طرفاً من سمومهم ودسائسهم ؛ لتعرف إلى أي حد وصلت إليه العقول العفنة ، والأفكار الآسنة ، والأقلام المأجورة :

اقرأ إن شئت للكاتب الفرنسي « كامي » : مسرحية « الرجل المتمرّد » ، ومسرحية « سوء التفاهم » ، ومسرحية « حال الحصاد » .. فكلها توجّه إلى معاداة الدين ، والتحرر من ضوابط الفضيلة والأخلاق ..

يقول « كامي » هذا : « ينبغي ألا نؤمن بشيء في هذا العالم سوى الخمر ، إن صيحتي هي : الموت للعالم ، حطموها كل شيء ، يجب أن نلغي كل ما هو إنجيلي .. » (1) .

يقور « أرثر ميلر » الأمريكي في مسرحيته « بعد السقوط » : « إن أكثر الأماكن براءة في بلدي هو مصحة الأمراض العقلية ؛ وكمال البراءة هو الجنون » (2) .

ويقول « سلاكرو » الكاتب الفرنسي : « إن الآلهة لا عمل لها إلا أن تعبث بحطام الإنسان .. » (3) .

واقراً إن شئت كذلك مسرحيات « جان بول سارتر » الفرنسي : مسرحية

« جلسة سرية » ، ومسرحية « بلا قبور » ، ومسرحية « الأيدي القذرة » ، ومسرحية « البغي الفاضلة » .. فكلها توجه إلى الحنا والعبث والفاحشة ، وتدعو إلى التحرر من مبادئ الفضيلة والأخلاق والدين ..

ومن أقوال « سارتر » : « إن الله لا يستطيع أن يوجد ذاته إلا بإطلاق العنان لرغباته وشهواته ، بحيث يفعل ما يشاء ، ويترك ما يريد ، ولا يبالي يعرف أو دين .. » (1) .

يقول « أوسبورن » الكاتب الإنجليزي في مسرحيته « المسافر » : « نحن موتى ، مكوددون مضيئون ، نحن سكيرون مجانيين ، نحن حمقى ، نحن تافهون .. » (2) .

ويرى « فيتشه » الفيلسوف الألماني : أن الإنسان بين التسليم والتمرد ، فوجوده تمزق وسلب . ولا يجد الخلاص إلا بالجنون الذي يخلصه من تعاسته الحاضرة .. (3) .

أما « كيركجارد » رائد الفلسفة الوجودية فيقول : إن الوجود معناه : « أن نعاني اليأس والقلق حتمًا ، وإن من يختار اليأس يختار ذاته في قيمتها الأبدية .. » ولذا نجده قد حاول الانتحار مرارًا ؛ ويضيف قائلاً : « إن الوعي يظهر دائمًا في صورة القلق ، وأما اليأس فهو الحد الذي يفضي إليه » .. لقد بقيت الكتابة القاتلة ملازمة لكيركجارد حتى الموت .

أرأيت - أخي الداعية - مأساة الفكر الغربي التي تتجلى في الإباحية والعبث واليأس والقلق والتمرد والشقاء .. ، ولقد استمعت إلى ما كتبه فلاسفة الوجودية ، ودعاة الإباحية في تحمر الإنسان من ريقه الدين ، ووازع الضمير ، وضوابط الأخلاق .. فهذا الفكر نذير من النذر الأولى يقضي بالبشرية إلى أقبح الغايات ، وأسوأ النتائج ..

\*\*\*

### وماذا أيضًا عن الفكر الإباحي واللا ديني في الشرق الشيوعي ؟

إنَّ القارئ للأبجدية الشيوعية التي وضعها « ماركس » ، والقوانين التي صدرت في روسيا بعد قيام الثورة التي أطاحت بحكم القياصرة .. يرى أن الماركسية لا تستريح كثيرًا لنظام الأسرة ، وتعتبره دعامة من دعامات المجتمع « البورجوازي » ، وترى أن « الحب » الطليق ينبغي أن يأخذ مكان الزواج ، كما أنها قررت عند قيامها مباشرة تيسير الطلاق للراغبين فيه من المتزوجين .. وقد جاء في الأبجدية الشيوعية ما يأتي :

(1) من كتاب « المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها » للدكتور عبد الرحمن عميرة ص : 210 .

(2 - 3) انظر كتاب « فوضى العالم .. » للأستاذ خليل ص : 135 .

« حين يقول الوالدان ، هذا ابني ، وتلك ابنتي ، لا تعني هذه الكلمات وجود أسرة أبوية فحسب ، بل توحى بأن للأبوين حقاً في تربية أولادهم من وجهة نظرهم كما يريدون ، والاشتراكية تأبى هذا الإقرار بهذا الحق للآباء ؛ لأن الفرد ليس ملكاً لنفسه ، ولكنه ملك للجماعة » (1) .

وما قاله « ماركس » ردهه « انجلز » بقوله : « إن الأسرة بوضعها الحالي هي وضع من أوضاع مجتمع لا تضج فيه ، ولا جدوى منه ، ولا محل لاستبقاء هذا الوضع وتأييده إلا بالقدر الذي يلائم مصلحة الدولة » ، وتستند الماركسية في موقفها إلى أن الأسرة تدعم النزعة الفردية ، والرغبة في التملك والملكية .. (2) .

وهذه الكلمات التي أطلقها أقطاب الماركسية بشأن الأسرة تعني - من وجهة نظرهم - ما يأتي :

- 1 - القضاء على الأسرة بمنع رباطها ألا وهو الزواج .
- 2 - إقامة « الحظائر » لتربية أبناء الدولة ، ومنع الأبوين من أي توجيه أو تلقين ..
- 3 - إطلاق المشايعة الجنسية بين رجال الدولة ونسائها أو الزواج الاختياري كما كانوا يسمونه .

وتبرر « الماركسية » موقفها هذا تجاه الأسرة بقولها : « إن البشرية عاشت في حالة « مشايعة » جنسية في عصورها الأولى ، وإنها لم تعرف نظام الأسرة إلا تحت تأثير الظروف الاقتصادية » فالقوضوية الجنسية - عند الشيوعيين - هي الأصل .

وتسافد الرجال والنساء على قارعة الطريق أو في أدغال الشجر .. هو القاعدة . وفكرة الأسرة أو رباط الزواج شيء طارئ بل خاضع للظروف والأحوال .. (3) .

لقد أراد أقطاب « الماركسية » بمخططهم الإباحي هذا أن يحولوا كل امرأة في مجتمعهم إلى أنثى من إناث الدولة ، وأن يحولوا كل رجل في مجتمعهم إلى فحل من فحول الدولة .. يجمعهم الفراش ثم يذهب كل منهما إلى عمله وإنتاجه .. وللدولة بعد هذا أبنائها وبناتها جميعاً ، ينتسبون إليها وحدها انتساب ولد

(1 - 2) من كتاب « حقيقة الشيوعية » لعلي أدهم .

(3) من كتاب « المذاهب المعاصرة » للدكتور عميرة ص : 165 - 166 .

الحيوان إلى جنسه لا إلى أبيه وأمه !!

هل هناك انحذار بالأسرة مثل هذا الانحذار ؟ وهل هناك هبوط بالمرأة والرجل والأولاد مثل هذا الهبوط ؟ ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (1) .

\*\*\*

اما عن موقف الشيوعيين من الأديان والإسلام :

فحدّث عنه ولا حرج ، وحسبك أن ترجع - أيها الداعية - إلى أي مرجع من مراجع الماركسية ، أو إلى أي قول من أقوال دعائهم ، فتجد الكفر البواح ، والإلحاد السافر ، والحقد الدفين ، بل تجد الثورة الكبرى على الله ، والأديان ، والإسلام .. وإليك طرفاً من لافتاتهم الآثمة ، وشعاراتهم الكافرة المعروفة لدى كل إنسان :

- « لا إله في الكون ، والحياة مادة » .

- « الدين أفيون الشعوب » .

- « الأنبياء لصوص كذّابون » .

- « الله ، والأديان ، والرأسمالية ، والإقطاع .. ما هي إلا دميّ محنطة في متاحف التاريخ .. » .

لقد هاجمت بعض الصحف العالمية مرة موجة الإلحاد في الاتحاد السوفيتي ، وقالت : إن هذا شيء مجانب للحق والحقيقة ، ومخالف لفطرة النفس الإنسانية ، ومناقض لقانون السبب والسببية ، فردت عليها صحيفة « برفادا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي وقالت : .. ومن قال إننا لا نؤمن بشيء ؟ إن من يقول ذلك يتجنى علينا ، ولا يعرف حقيقة وضعنا .. نحن نؤمن بثلاثة أشياء : ( كارل ماركس - لينين - ستالين ) . ونكفر بثلاثة أشياء : ( الله - الدين - الملكية الخاصة ) (2) .

﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلْنَا لَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَؤُفَّفَ كُونَ ۗ ۱۱۹ ﴾ (3)

(1) سورة الكهف الآية : 5 .

(2) راجع كتاب « المذاهب المعاصرة » للدكتور عميرة ص 143 . (3) سورة التوبة الآية : 30 .

### أما موقف الشيوعية من الإسلام :

فهو أدهى وأعظم وأمر .. ؛ ذلك لأن رجال الفكر الشيوعي يعلمون علمًا أكيدًا أن في الإسلام قوة دفع حضارية ، وطاقة انتشار عالمية .. وأن في أنظمتها خاصة شمول ، وطابع تجدد ، وميزة ثقة ، وسمة يسر وبساطة ، وحقيقة استمرار وخلود .. لذا اتفقت كلمة الشيوعيين ، ومن قبلهم كلمة اليهود والصليبيين .. على محاربة الدعوة الإسلامية ، والظعن بمبادئها ، والنيل من نبيها ، وتشويه سمعة دعائها .. حتى ينشأ الجيل المجانب للحق ، المنسلخ عن الإسلام ، التائه في بيداء الإلحاد والإباحية .. وإذا أردت - أخي الداعية - أن تعرف موقف الشيوعية من الإسلام ، فاقراً ما جاء في « الوثائق السرية الخطيرة » التي نشرتها مجلة « كلمة الحق » في شهر المحرم سنة (1387) هـ ، الموافق شهر نيسان سنة (1967) م ، وقد أعده الشيوعيون في « موسكو » ، وقدموه لعبيدهم المسخرين في أحد بلدان الشرق المسلم لينفذوه بدقة وإحكام .

وها نحن أولاء ننقل من مجلة « كلمة الحق » بعض ما يحويه المخطط الشيوعي لضرب الإسلام في دياره .

### تقول الوثيقة :

« برغم مرور خمسين عامًا على الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي ، وبرغم الضربات العنيفة التي وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام .. فإن الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفيتي صرحوا : « إننا نواجه في الاتحاد السوفيتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية ، وكأن مبادئ « لينين » لم تتشربها دماء المسلمين » .

وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين ، فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعًا ، وما يزال يتفجر بالقوة ، بدليل أن الملايين من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتقدون الإسلام ويجاهرون بتعاليمه مع أن قادة الحزب ومفكري المذهب لا يغيب عنهم يقظة الإسلام في المناطق الإسلامية بالاتحاد السوفيتي ... » .

### وتقول الوثيقة :

« .. ومن هذا المخطط : أن يتخذ الإسلام نفسه أداة لهدم الإسلام نفسه ، وقررنا ما يلي :

1 - مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه ، والمهادنة لأجل .. حتى نضمن أيضًا

السيطرة ، ونجذب الشعوب العربية للاشتراكية .

2 - تشويه سمعة رجال الدين ، والحكام المتدينين ، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية .

3 - تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل .. ومزاحمة الإسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية .. » .

### وتقول الوثيقة :

الحيلولة دون قيام حركة دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفاً ، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني ، والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت .

تشجيع الكتاب الملحدين ، وإعطاؤهم الحرية كلها في مهاجمة الدين ، والضمير الديني ، والتركيز في الأذهان على أن الإسلام انتهى عصره ، وأن هذا هو الواقع ، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم ، والصلاة ، والحج ، وعقود الزواج والطلاق ، وسنخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية .

قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً ، وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية .

إن فصم الروابط الدينية ، ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس ؛ لأن الدين يكمن في الضمير ، والمعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجية ، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ، ولم يصبح صعباً هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية .. ونجحنا في نشر ما يهدم من القصص ، والمسرحيات ، والمحاضرات ، والصحف ، والأخبار ، والمؤلفات .. التي تروج للإلحاد ، وتدعو إليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده ، وجعله الإله المسيطر .

خداع الجماهير بأن نزع لهم أن المسيح اشتراكي ، فهو فقير ، ومن أسرة فقيرة ، وأتباعه فقراء كادحون ، ودعا إلى محاربة الأغنياء ..

ونقول عن محمد ﷺ : إنه إمام الاشتراكيين ، فهو فقير ، وتبعه الفقراء ، وحارب الأغنياء المحتكرين ، والإقطاعيين ، والمرابين ، وثار عليهم ..

وعلى هذا النحو يجب أن نصوّر الأنبياء والرسل ، ونبعد القداسات الروحية ، والوحي والمعجزات عنهم بقدر الإمكان ، لنجعلهم بشرًا عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم ، وأوجدوها لهم أتباعهم المهوسون .

### وتقول الوثيقة :

« نشر الأفكار الإلحادية ، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني ، والعقيدة الدينية ، وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي .

الإعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف الذي يعتنقه الناس لجهلهم ، والدين الصحيح هو الاشتراكية ، والدين الزائف هو الأفيون الذي يخدر الشعوب .. والصاق كل عيوب الدراويش ، وخطايا رجال الدين بالدين نفسه ، وترويج الإلحاد ، وإثبات أن الدين خرافة ، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا الدين الصحيح الذي هو الاشتراكية .

تسمية الإسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مآربها ، وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح ، والدين الثوري ، والدين المتطور ، ودين المستقبل .. حتى يتم تجريد الإسلام الذي جاء به - محمد ﷺ - من خصائصه ومعالمه ، والاحتفاظ منه بالاسم فقط ؛ لأن العرب إلا القليل منهم مسلمون بطبيعتهم ، فليكونوا الآن مسلمين اسمًا ، اشتراكيين فعلًا ، حتى يذوب الإسلام لفظًا كما ذاب معنى ..

أخذنا بتعاليم « لينين » ، ووصيته بأن يكون الحزب الاشتراكي خصمًا عنيدًا للدين ، ويحارب فكرته في المنتظر لما بعد الموت ، بالفردوس الذي تحققه الاشتراكية العلمية التي تحقق العدالة الاجتماعية ، وإذا وجد من الضروري مهادنة الدين وتأييده وجب أن تكون المهادنة لأجل ، والتأييد بحذر ، على أن يستخدم التأييد والمهادنة لمحو الدين ... » (1) .

... هذا غيظ من فيض مما تنفته الشيوعية من حقد وتآمر على الإسلام .. واستئصال شأفة المسلمين ، وطمس منار الهداية الإسلامية في الأرض .. ﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ (2) .

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَزَّهُ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (3) .

(1) راجع كتاب « الشيوعية والإسلام » للأستاذين : العقاد ، والقطراني ص : 123 تجد فيه نص الوثيقة كاملة .

(2) سورة الأنفال الآية : 30 .

(3) سورة التوبة الآية : 32 .

### ثم ماذا عن طغيان الحكم الشيوعي في الأرض ؟

من المعلوم أن نظام الحكم في الشرق الشيوعي نظام فردي استبدادي يفرض نفسه بقوة الحديد والنار ، ولا يسمح لأحد بأي معارضة أو انتقاد ..

ولم تعرف الدنيا في تاريخها الطويل حكمًا ممدود الرهبة ، مستحكم الطغيان ، قوي الجبروت ، يحوّل البلاد إلى سجن كبير ، يسوق العباد إلى حظائر العبودية مثل ما عرف في الحكم الشيوعي ؛ لذلك لا يتعفف الشيوعيون عن الهدم ، والتدمير ، وإزهاق الأرواح ، وسفك الدماء ، وقتل الآمنين ، وإبادة الملايين .. إذا وجدوا في ذلك مصلحة لهم .

ينقل الأستاذ « عامر العقاد » في كتابه « حرب الأكاذيب » ص : 17 عن « لينين » قوله : « التصور العلمي للدكتاتورية لا يعني شيئًا أكثر من القوة غير المحدودة ، القوة التي لا يصددها أي نوع من أنواع القوانين والإجراءات ، وإنما تعتمد مباشرة على العنف وحده » .

وذكر الأستاذ « علي أدهم » في كتابه « حقيقة الشيوعية » ص : 25 أن « لينين » بعث رسالة إلى الأديب الروسي « مكسيم جوركي » يقول فيها : « إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء ، وإنما الشيء الهام أن يصبح الربع الباقي منهم شيوعيين » .

يقول الدكتور « عبد الرحمن عميرة » في كتابه « المذاهب المعاصرة » .. ص : 173 ، معقبًا على ما صرح به « لينين » : إن الفرد الذي يرى أن هلاك ثلاثة أرباع العالم أمر هين ، بل ليس بشيء مادام سيضمن في النهاية أن الربع الباقي سوف يعتنق دعوته فهو فرد أقل ما يقال فيه : إنه مجرم عريق في الإجرام ، وأقل ما يقال في أتباعه أنهم أناس فقدوا الآدمية والإنسانية ، وتحولوا إلى وحوش مفترسة تعطش للدماء ، ولا تقتصر هذه القسوة على أعداء الشيوعية في الخارج ، ولكنها تمتد في الداخل حتى تتناول أي فرد مهما علا مركزه - ولو كان شيوعيًا - بالملامة أو السجن أو القتل إذا لزم الأمر ذلك .

ومن أيسر الأمور - في منطق الشيوعية - أن يكون المرء وزيرًا في الحكومة الشيوعية اليوم ، ثم يعزل غدًا ، ثم يرمى في السجن ، ثم يقتل لأنه خان الحزب في موقف احتجاج أو معارضة ..

● والعالم بأسره لا ينسى « مأساة المجر » لقد كانت هناك ظروف أجبرته على قبول الشيوعية ، وبعد أن جربها ، واكتوى بنارها .. فكر أن يتخلص منها إلى الأبد ،



فقام بحركة مستميتة استرد بها سلطته ، وحرر بها أرضه .. غير أن الأوامر صدرت للجيش الشيوعي الأحمر بعلاج هذا التمرد ، فإذا ألوف الدبابات تنطلق من قواعدها مجتازة المدن والقرى ، ودافنة الثوار تحت أنقاض الخراب ، وفي خنادق المقاومة ..

فعل الجيش الأحمر ذلك فلم يرتفع صوت واحد بالاحتجاج ..؟! .

● وما حدث في الجبر حدث نظيره في « روسيا » بل أشد وأنكى .. لقد استطاع « ستالين » أن يزوج بالآلاف المؤلفة في أقبية السجون ، وكثير منهم لم توجه إليهم تهمة ثابتة .. أو دليل واضح على ارتكابه ما يخل بسلامة الدولة ، ومع ذلك كان يلقي عقابه ، وقد يكون مصيره الإعدام ..

ومن ذلك :

أن زوجة ستالين « ناديوتشكا » سمعت عن أحد زملائها في الدراسة أنه قد أودع السجن ، وأنه قد صدر الحكم ضده بالإعدام رميًا بالرصاص ؛ فنشفت لزوجها أن يصدر أوامره بالعفو عنه وإطلاق سراحه بعد أن تأكدت من براءته .

ولكن « ستالين » اعتبر هذا تدخلاً من الزوجة لا يليق أن يسمعه من لسانها ، فانفجر في وجهها غاضبًا على جرأتها في مخاطبته في مثل هذه الأمور .

فصاحت الزوجة في وجهه قائلة : إنك بهذا تعذب ابنك الذي من لحمك ودمك ، وها أنت تعذب زوجتك ، وإنك اليوم تعذب الشعب الروسي كله ، وتقلبه على الجمر !! .

ثم تابعت حديثها قائلة : إنني ذاهبة عنك سواء رضيت بذلك أو لم ترض !! فأجابها « ستالين » بصوت رصين هادئ : « أنت منهوكة القوى ، مضطربة الأعصاب .. » .

قال ذلك ، وتوجه إلى حجراته الخاصة لكي يحضر شرابًا لها ، وعاد بصوت أكثر هدوءًا ورضانة .. ثم أردف قائلاً : « اشربي هذا الكأس ، وستصبحين هادئة الأعصاب » .

فشربت الكأس ، ومرت بعد ذلك دقائق ، شمع بعدها صوت ارتطام جسم على الأرض ، واندفع رجال الحرس الخاص إلى داخل مسكن « ستالين » على صوت الزجاج الذي تهشم ، فوجدوا الزوجة جثة هامدة ..

وبعد وفاة الزوجة هرع « ستالين » إلى شلة اللعب ، ليرقص ويمرح وكأن شيئًا لم يحدث (1) !!

إن الإنسان عندما يكفر بخالفه ، ويتنكر لنعم مولاه ، يتحول إلى شيطان رجيم ، أو مجرم خطير .. ينتشي لرؤية دماء الأبرياء ، ويضطرب على صوت صرخات الثكالي ، وأنات المظلومين .. ليس هذا فحسب ، ولكنه يتخذ كل الوسائل للوصول إلى هدفه .. سواء أكانت هذه الوسائل مشروعة أو غير مشروعة ، تتفق مع الضمير الإنساني أو لاتتفق ، وهذا ما فعله « ستالين » مع المسلمين الذين أوقعهم سوء الطالع تحت حكمه .

● لقد رفض المسلمون في بخارى ، وسمرقند ، والقوقاز .. أوامر الإلحاد ، ومبادئ الكفر ، فأخرج لهم « ستالين » من جعبته جميع أسلحته ، وعبأ لهم جحافله النظامية ، وغير النظامية ، ولكن المسلمين - مع هذا - ردوهم مدحورين مقهورين ..

فلجأ « ستالين » إلى أسلوب أكثر مكرًا وخداعًا ، فأعلن في « موسكو » تصريحًا جاء فيه : « إلى جميع المسلمين الكادحين الذين دمرت مساجدهم : ثبتوا عقيدتكم وتقاليدكم ، ومارسوا حياتكم القومية بحرية تامة .. » .

فخرج المجاهدون من مخابهم ، واجتمعوا لصلاة الجمعة في فناء مسجد بخارى ، فتولت المدافع الشيوعية إسكاتهم إلى الأبد .. ا . ه .

وبهذا الأسلوب الخسيس من المكر والغدر ، وقوة الحديد والنار .. استطاع الشيوعيون أن يسيطروا على كثير من البلاد ، ويجعلوا أعزة أهلها أذلة .. وكذلك يفعلون ..

● وما حدث في بخاري وسمرقند حدث نظيره في الصين ، ويوغسلافيا ..

ففي الصين أباد الشيوعيون من المسلمين خلال ربع قرن من الزمان ستة وعشرين مليونًا ، بمعدل مليون في السنة .. وقد وقع في القطاع الصيني من التركستان ما يغطي على بشاعة التتار : لقد جيء بأحد زعماء المسلمين فحفرت له حفرة في الطريق العام ، وطلب من المسلمين - تحت وطأة التعذيب والإرهاب - أن يأتوا بفضلاتهم الآدمية ، فيلقوها على الزعيم المسلم في حفرة .. وظلت العملية ثلاثة أيام ، والرجل يختنق تدريجيًا في الحفرة على هذا النحو حتى قضى شهيدًا رحمه الله ، وأعلى منزلته .

وفي يوغسلافيا أباد الشيوعيون من المسلمين منذ الفترة التي صارت فيها يوغسلافيا اشتراكية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم .. أبادوا أكثر من مليون مسلم .. ومن أمثلة عمليات الإبادة : إلقاء المسلمين رجالاً ونساءً في مفارم اللحوم التي